ISSN 1016 – 4030

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

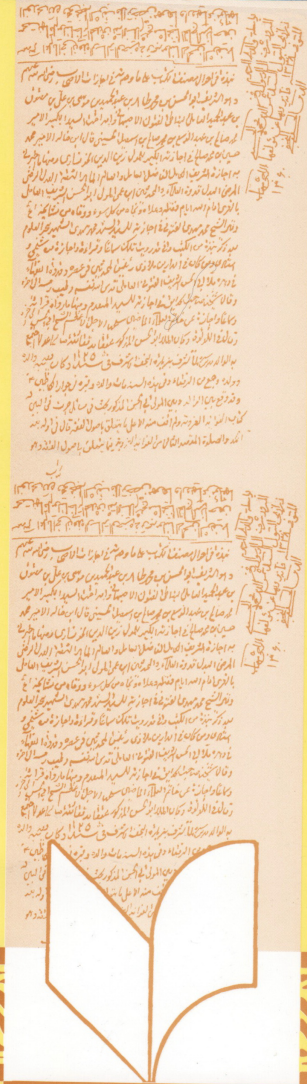

العددان الأوّل والثاني [١٢٥ – ١٢٦]

السنة الثانية والثلاثون / محرّم ـ جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

* الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والباحثين والمعنيّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام .
* الآراء المنشورة لا تعبّر عن رأي النشرة بالضرورة .
* ترتيب المواضيع يخضع لأُمور فنّية وليس لأيّ أمر آخر .
* النشرة غير ملزمة بنشر كلّ ما يصل إليها أو بإعادته إلىٰ أصحابه .

المراسلات تعنون باسم : هيئة التحرير .
دورشهر ـ خيابان شهيد فاطمي ـ كوچه ٩ ـ پلاك ١ و٣
هاتف : ٥ ـ ٣٧٧٣٠٠٠١ ـ فاكس : ٣٧٧٣٠٠٢٠ .
البريد الألكتروني : *e-mail : turathona@rafed.net*
ص . ب . ٩٩٦ / ٣٧١٥٦٥٣٧٧١ ـ قم ـ الجمهورية الإسلامية في إيران .
تراثنا .
العددان : الأوّل والثاني [١٢٥ ـ ١٢٦] السنة الثانية والثلاثون / محرّم ـ جمادىٰ الآخرة ١٤٣٧هـ .
الإعداد والنشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث .
الكمّيّة : ٢٠٠٠ نسخة .
الفلم والألواح الحسّاسة : تيزهوش ـ قم .
المطبعة : الوفاء ـ قم .
الاشتراك السنوي : ٢٠٠٠ تومان في إيران ، و ٢٥ دولاراً أمريكياً في بقيّة أنحاء العالم .

الأستاذ الشيخ محمود أبو ريّة

دراسة في منهجه ودفاعه عن السنّة المحمديّة والعترة النبوية

أحمد رضا مرادي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة :

الحَمد لله علىٰ ما عرّفنا من نفسه ، وألهمنا من شكره ، وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيّته ، ودلّنا عليه من الإخلاص له في توحيده ، وجنّبنا من الإلحاد والشكّ في أمره[1] .

والصلاة علىٰ خاتم الأنبياء وسيّد الأصفياء محمّد وآله[2] الفائزين بخلوص الانتماء ووجوب الاقتداء ما أظلّت الزرقاء وأقلّت الغبراء صلاة باقية إلىٰ يوم البعث والجزاء .

---

(١) الصحيفة السجّادية : الدعاء الأوّل .

(٢) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : لا تُفَرِّقُوا بَيْنِي وَبَيْنَ آلِي بـ : (علىٰ) . مستدرك الوسائل ج٥ :ص٣٥٦ .

ممّا لا يكاد يختلف فيه إثنان ولا يحتاج إلىٰ إثباته بالبرهان هو أنّ السنّة المحمّدية ـ منذ بداية الدعوة الإسلامية ومنذ نزول الوحي وحتّىٰ يومنا هذا ـ تعتبر في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم ؛ وذلك لأنّه لا ريب في حجّيتها لقوله تعالىٰ : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[١] ؛ فالردّ إلىٰ الله هو الأخذ بمحكم كتابه والردّ إلىٰ الرسول هو الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرّقة[٢] .

وأمّا الفرق في حجّيّة القرآن والسنّة هو أنّ القرآن قد جاء من طريق التواتر بحيث لا يعتريه ريب فهو من أجل ذلك مقطوع به جملةً وتفصيلاً أمّا السنّة فقد جاءت من طريق الآحاد فهي مظنونة في تفصيلها وإن كانت مقطوعةً بجملتها ، فالقرآن مثلاً لم يذكر تفاصيل الصلاة والزكاة وهما من أهمّ أركان الإسلام بل اكتفىٰ بمثل قوله ﴿أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ﴾[٣] لكنّ الحديث فصّل أوقات الصلاة وكيفيّاتها ، وهذان أمران من بين مئات الأوامر التي تناولتها أفعال الرسول وأقواله ، ولذلك كان الفرض علىٰ رسول الله ﷺ أن يبيّن للناس أحكام الشريعة وما اختلف منها وتشابه عليهم لأن يتفكّروا

---

(١) سورة النساء : ٥٩

(٢) من كتاب كتَبَه الإمام عليٌّ عليه السلام للأشْتَر النَّخَعيّ لمّا ولّاه علىٰ مصر وأعمالها ، حين اضطرب أمر أميرها محمّد بن أبي بكر ؛ وهو أطوَلُ عهْد كتَبَه وأجمعه للمحاسن . نهج البلاغة كتاب٥٣ ، قال العلّامة المجلسي : لعلّ المراد بالجامعة غير المفرّقة المتواترة ؛ وقيل : أي يصير نيّاتهم بالأخذ بالسنة واحدة . بحار الأنوار ج٢ ص٢٤ .

(٣) البقرة :٢ : ٤٣

ويتّخذوا سبيلاً إلىٰ فهم مقاصدها وسمّىٰ ذلك السنّة وجعل الله ذلك غاية إنزال القرآن عليه[١] .

وللسنّة المحمدية ـ وهي ما حكي عن النبيّ من قول أو فعل أو تقرير ـ من جلال القدر وعلوّ الشأن ورفيع الذكر ما يدعو المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلىٰ العناية البالغة بها والبحث الدقيق عنها حتّىٰ يؤخذ بما فيها من دين وأخلاق وحكم وآداب وغير ذلك ممّا ينفعهم في دنياهم وآخرتهم ؛ ولمّا توفّي النبيّ ﷺ وقصد الناس سماع حديثه هنا تشتّت الأمر بين الصحابة ، ولم يمتثل أمر رسول الله في تبليغ رسالاته[٢] ؛ وذلك أنّ

---

(١) يدلّنا علىٰ ذلك آيتان من كتاب الله :
﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ . النحل : ١٦ : ٤٤.
﴿وَما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ . النحل : ١٦ : ٦٤ .

(٢) قال عمر لابن عبّاس : إنّ رسول الله أراد أمراً وأراد الله غيره ، فنفذ مرادُ الله تعالىٰ ولم ينفذ مرادُ رسوله ، أوَكلّما أراد رسولُ الله كان؟! (شرح الحديدي ، ج١٢ ص ٧٩ ، نكت من كلام عمر وسيرته) .

وكان ذلك حتّىٰ أمر عمر بن عبد العزيز بتدوين الحديث ، قال يونس بن عبيد سألت الحسن [البصري] قلت : يا أبا سعيد إنّك تقول قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم ، وإنّك لم تدركه؟ فقال يا ابن أخي : لقد سألتني عن شيءٍ ما سألني عنه أحد قبلك ولولا منزلتك منّي ما أخبرتك ، إنّي في زمان كما ترىٰ ـ وكان في زمن الحجّاج ـ كلّ شيء سمعتني أقوله قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم فهو عن عليّ بن أبي طالب ، غير أنّي في زمان لا أستطيع أن أذكر عليّاً (تهذيب الكمال ، ج٦ ص١٢٤) ؛ والحسن البصري هذا هو الذي شبّهوه بعمر بن الخطّاب في المهابة ومع ذلك يخاف أن يذكر عليّاً . (محو السنة ، ص٩٢) .

أصحابه ـ وهم الرعيل الأوّل من حملة الحديث ـ نَهوا عن كتابة حديثه واختلقوا أحاديث بأنّ النبيّ نهىٰ أن تصبح كتابة حديثه عامّةً[١] ، وقد بذلوا في هذا السبيل أقصىٰ جهدهم وغاية سعيهم وإن لم يكن لأصحابه إجماع علىٰ هذا الأمر[٢] ، ولمّا رأىٰ بعض الصحابة أنّهم لا يستطيعون أن يرووا ما سمعوه من النبي علىٰ حقيقة لفظه ـ وقد دعت الضرورة الدينية أن يفضوا بما سمعوا ـ فقد جوّزوا أن يرووا ما سمعوه من النبيّ بالمعنىٰ ، فزادوا ونقصوا في عبارته وقدّموا في كلماته وأخّروا وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ[٣] فتغيّر كلام النبيّ عن

---

(١) «دخل زيد بن ثابت ـ وكان عثمانيّاً ومنحرفاً عن أمير المؤمنين ـ علىٰ معاوية فسأله عن حديث ، وأمر إنساناً أن يكتبه فقال له زيد : إنّ رسول الله أمَرَنا ألّا نكتب شيئاً من حديثه ، فمحاه» ، جامع بيان العلم وفضله ١ / ٦٣ ، وقال عمر : «لا أشوب كتاب الله بشيءٍ أبداً» ، نفس المصدر ١ / ٦٤ .

(٢) قال شوقي ضيف : «عناية الشيعة بكتابة الفقه كانت قوية ، لاعتقادهم في أئمّتهم أنّهم الهادون المهديّون الذين ينبغي أن يلتزموا بفتاويهم ومن ثمّ عنوا بفتاوىٰ عليّ وأقضيته» . (تاريخ الأدب العربي ج١ ص ٤٥٣) ؛ إنّ ما قاله شوقي كان موجزاً ممّا ذكره السيوطي من أمر تدوين الحديث عند الشيعة منذ صدوره في زمن الرسول وذلك أنّ أئمّتهم ـ هؤلاء الهادون المهديّون ـ لم ينهوا عن كتابة الحديث أبداً ، لكن الدكتور شوقي ضيف ذكر ذلك بتحفّظ منه حتّىٰ لا يخطر ببال أحد أنّه يقصد من كلامه هذا ما لا يستسيغه الآخرون ؛ قال السيوطي : «اختلف السلف من الصحابة والتابعين في كتابة الحديث فكرهها طائفة منهم . . . وأباحها طائفة وفعلوها ، منهم : عمر [في حين أنّ أخبار نهيه عن رواية الحديث مستفيضة بل متواترة بين المسلمين] وعليٌّ وابنه الحسن . . . (تدريب الراوي ج٢ ص٦١) .

(٣) ولذلك رأىٰ أئمّة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه والفرّاء أن لا يحتجّوا بشيء من الحديث في إثبات القواعد الكلّية في لسان العرب والاستدلال عليها ، لأنّ الأحاديث لم

أصله[١] واختلفت العبارات حتّىٰ تغيّر المعنىٰ بحيث لم يبق وجه شبه بين كلامهﷺ وبين ما ذكروه ولا حتّىٰ نوع مناسبة، ومن أجل ذلك فقد تعدّدت رواية الكثير من الأحاديث، ولمّا رأىٰ أعداء الدين[٢] وأهل الهوىٰ من المسلمين هذه الفوضىٰ[٣] استغلّوا الظروف ووضعوا علىٰ النبيّ أحاديث لا تعدّ ولا تحصىٰ لأسباب لا محلّ لذكرها هنا[٤]، وخاصّة بعد موت الخليفة الثاني عمر، لأنّه كان شديداً علىٰ الأصحاب في ذلك وكان يأمرهم بأن يقلّوا من الرواية عن النبيّ حتّىٰ ضرب أبا هريرة علىٰ رواية الحديث وأنذره بالنفي إلىٰ بلاده.

ولمّا استفاضت رواية الحديث وشاعت ـ حتّىٰ بلغت مئات الآلاف ـ واشتبه الصحيح منه بالسقيم هنا نهض علماء أجلّاء ليمحّصوا هذه الروايات بالبحث في تاريخ من رووها حتّىٰ يتبيّن لهم من اتّصف بالعدالة والضبط من رواة الحديث ممّن تعرّىٰ منهم من هاتين الصفتين، بعد أن كانوا ـ أحيانا ـ

تكن تروىٰ بألفاظها كما جاءت عن الرسول، إنّما كانت تروىٰ غالباً بمعانيها، فلذلك اعتمدوا في ذلك علىٰ القرآن وصحيح النقل عن العرب.

(١) ولو كان التدوين شائعاً في الصدر الأوّل، وتيسّر لهم أن يدوّنوا كلّ ما سمعوه من النبيّ (صلّىٰ الله عليه وسلّم) بألفاظه وصوغه وبيانه، لكان لهذه اللغة شأن غير شأنها (إعجاز القرآن ص٣٦٤).

(٢) كعبدالله بن سلام وكعب الأحبار.

(٣) كصاحب الزاملتين وصاحب الكيس والمزوّد من الصحابة المشهورين بالنقل عن الإسرائيليّات.

(٤) لو ذهبنا لنستقصيها لطال بنا سبيل القول، ولاحتاج ذلك إلىٰ مقالات مستفيضة، منها ترحيب معاوية بوضع الحديث لأسباب معروفة عند القاصي والداني.

يذكرون الحديث وفيه ما يخالف العقل والمنطق، فيقولون: «إسناده جيّد أو حَسَن» أو «رَواهُ البُخاري» ولا يعنيهم من أمر الدلالة في الحديث شيء[١].

ولكنّ اليوم وفي عصرنا هذا فإنّ كتب الحديث والتفسير وغيرها صارت في متناول أيدي المسلمين وتراها في كلّ بيت ومعهد ومسجد، فإذا قرأنا البعض من كتب شيوخهم بدا لنا العجب العجاب لما نراه من الأحاديث في التفسير والتاريخ والأخلاق والطبّ وغيرها ممّا لا يوافقه القرآن ولا يثبته علم صحيح ولا يقبله عقل صريح ولا يؤيّده حسّ ظاهر، وهم لا يعتنون بذلك ولا يفهمون من الصحّة والسقم إلّا عبارة (رَواهُ البخاري)[٢] الذي روىٰ من الأحاديث ما يضحك الثكلىٰ فحينئذ تستحوذ علينا الدهشة وتتملّكنا الحيرة أنّه كيف صدر عن النبيّ ﷺ مثل هذا الكلام السقيم والعاري عن الفصاحة والبلاغة وهو أبلغ من نطق بالضاد وأحكم من دعا إلىٰ الرشاد؟

والأنكىٰ من هذا كلّه هو احتجاج المستشرقين في كتبهم بهذه الأحاديث وهم الذين نتّهمهم ونرميهم دائماً بأنّهم يطعنون في سيرتنا ويشوّهون وجه ملّتنا لئلاّ يهتدي أحد بهُداه أو يستمع صَداه، وإذا أمعنت يتّضح لك عياناً أنّه لا تثريب علىٰ الاستشراق وأهله بل علىٰ أهل الحديث

---

(١) قال الزمخشري في قصيدته المشهورة:

وإن قلت من أهل الحديث وحزبه ..... يقولون تيس ليس يدري ويفهم.

(٢) قال السيّد محمّد رشيد رضا «ما كلّف الله مسلماً أن يقرأ صحيح البخاري ويؤمن بكلّ ما فيه وإن لم يصحّ عنده، أو اعتقد أنّه ينافي أصول الإسلام». مجلّة المنار ج٢٩ ص ٥١.

ورواته قرناً بعد قرن، فإنّ المستشرقين لم يفتروا شيئاً من عند أنفسهم إنّما وجدوا مادّة خَصِبة من الخرافات والأوهام قد بُثّت في ديننا وقد نسب بعضها إلىٰ النبيّ ﷺ كذباً وزوراً فتشبّثوا بها واستفادوا منها[١]، فلا تلوموهم ولوموا أنفسكم علىٰ ما اقترفتموه من وضع الأحاديث.

ولكي يطمئنّ قلب القارئ بما قلناه وتسكن نفسه إلىٰ ما بيّناه نتسائل: فإذا كان الأمر كذلك؛ فماذا نفعل بهذه الأحاديث؟، أليس من الصواب التمحيص فيها ـ وإن كانت صحيحة الإسناد ـ ونميّز بين الصحيح منها وبين السقيم ممّا وضعه الوضّاعون، ونكذّب الأحاديث التي لا نجد لها صبغة البلاغة وفيها اهتزاز الجزالة؟ إذاً ما القاعدة في التمييز بينها؟

لقد فطن المحدّثون القدماء إلىٰ هذا كلّه وقد بذلوا جهدهم ما استطاعوا في الأخذ بالصحيح من غيره وتنقيته من كذب الكذّابين ووضع الوضّاعين[٢]، ولكن هذا الجهد علىٰ عظمته لم يكن كافياً، فمن أعسر الأشياء وأشدّها تعقيداً هو دراسة النصّ نفسه في كتاب مستوفٍ حتّىٰ يتبيّن للناس أين هم من دينهم؛ فلا بدّ إذن من أن نتعمّق في دراسة نصّ الحديث الذي حمل الطُّمّ

---

(١) وذلك لأنّ الجيل الجديد قد بلغ درجة من السحر العلمي والنضج الفكري والعقلي فهو ينفر من الأوهام ولا يهتمّ إلّا بالحقائق ولا يسعىٰ إلّا إلىٰ المعرفة والعلم النافع ينبذ كلّ ما عدا ذلك مهما كان ومهما كان قائله.

(٢) غاية جهدهم تأليف كتب في انتقاء الحديث والأخذ بالصحيح من غيره فميّزوا الموضوعات من غيرها كابن الجوزي في (موضوعاته) والسيوطي في (اللئالي الموضوعة) وسائر من سلك مسالكهم، ولكن لم يتعرّضوا إلىٰ الموضوعات في الصحيحين وفي غيرها من الصحاح المعتبرة عندهم.

والرُّمّ، والغثّ والسمين، لنرىٰ مقدار موافقته للقرآن الذي لا يتطرّق إليه الشكّ ولا يبلغه الريب.

أضواء علىٰ السنّة المحمّدية :

لقد لمع كتاب **أضواء علىٰ السنّة المحمّدية** ورجح علىٰ سائر الكتب المدوّنة في هذا المضمار في زماننا؛ بحيث استفاض أمره وأحدث ضجّةً في أرجاء العالم الإسلامي، ممّا لم يحدث مثله لكتاب آخر في عصرنا الحاضر[١].

ومن الطبيعي إذا أراد المرء أن يصلح دينه ويعصمه في العقديّات لابدّ له أن يواجه الكثير ممّن يكرهون التحقيق والبحث والاجتهاد والحُرية في التفكير، ولا يرون العلم إلّا فيما أخذوه عن شيوخهم تلقيناً، فهولاء جميعاً قد قابلوا المؤلّف بالشتم القاذع والسبّ الوضيع[٢] حتّىٰ ظهر ذلك في عناوين

---

(١) أضف إلىٰ ذلك الطبعات الكثيرة للكتاب من أوّل يوم ظهوره في بلاد المسلمين وغيرهم.

(٢) والأقبح من ذلك كلّه أنّهم افتروا علىٰ المؤلّف ـ كما افتروا علىٰ غيره من العلماء من قبل ـ أنّه مات علىٰ عاقبة وخاتمة أمر أهل البدع والهوىٰ، ونقلوا عن شيخهم محمّد ابن محمّد المُختار الشنقيطيّ : «أنّ أبا ريّة عندما كان في وقت النزع الأخير وساعة الاحتضار حضره نفر من النّاس، ورأوه وقد اسودّ وجههُ! وكان يصرخ مرعوباً فزِعاً بصوتٍ عالٍ، وهو يقولُ : آه! ، آه! ، أبا هريرة أبا هريرة، حتّى ماتَ علىٰ تلك الحالِ».
وهم يحاولون بهذا الكذب والبهتان أن لا يطمع أحد بقراءة كتب أبي ريّة وسائر من سلك العقلنة وغيره من أصحاب العقول الراجحة ....

كتبهم[١] ، كتب قد أظهرت أخلاق مؤلّفيها ومبلغ علمهم .

وأمّا الذين كانت لديهم الحميّة والشجاعة في الدفاع عن الفكر والتفكير والتحقيق[٢] فقد قرّظوا الكتاب[٣] بعبارات رائعة تنمّ عن تتبّع المؤلّف وجهده وعَنائه في تدوين الكتاب .

وهناك من أخفىٰ استحسانه لئلاّ يثير غضب الحشويّين[٤] ـ الذين تغمرهم الدهشة عندما يرون أحداً يتفكّر في كنه شيء من العلم ـ حتّىٰ لا

---

(١) مثل كتاب (ظلمات أبي ريّة) لعبدالرزّاق حمزة وهو قاموس الشتائم والسباب ، وتشهد كلّ صفحة من هذا الكتاب أنّ مؤلّفه كان متخرّجاً من جامعة الهجاء والسبّ ، وذاكرته مشحونة بأنواع النبز والشتم في حقّ علماء المسلمين حتّىٰ وصف بعضهم ـ العياذ بالله ـ بالحمار والبقر و . . . .!! ولنعم ما قال محمّد بن علي الباقر صلوات الله عليه : «إيّاكمْ وَالطَّعْنَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِين . . . إنَّ اللَّعْنَةَ إذَا خَرَجَتْ مِنْ صَاحِبِهَا تَرَدَّدَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الَّذِي يُلْعَنُ ، فَإنْ وَجَدَتْ مَسَاغاً وَإلّا عَادَتْ إلَى صَاحِبِهَا وَكانَ أَحَقُّ بِهَا ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَلْعَنُوا مُؤْمِناً فَيَحِلُّ بِكم» ، بحار الأنوار ٦٩ / ٢٠٨ .

(٢) «ما كنت أظن ـ عندما ظهرت الطبعة الأولىٰ من هذا الكتاب ـ أنّه سينال من إقبال القرّاء عليه ، ورضاهم عنه ، وتقديرهم إيّاه ، مثل ما نال ، والحمد لله . ذلك أنّه لم يكد ينقضي علىٰ ظهوره زمن قليل حتّىٰ انتشر بين الأرجاء ونفدت نسخه كلّها ، ممّا دعا إلىٰ إعادة طبعه» . شيخ المضيرة ص١١ ، «طبع مرّتين في مدىٰ سنتين ، ممّا لا يتّفق وقوعه لأيّ كتاب إلّا في الندرة» . نفس المصدر ، ص٣٣ .

(٣) كالأستاذ طناحي محرّر مجلّة (الهلال) ، الدكتور طه حسين ، العلّامة السيّد مرتضىٰ العسكري وغيرهم من العلماء .

(٤) وقال الوزير اليماني في (الروض الباسم) : «إنّما سمّوا بالحشوية لأنّهم يحشّون الأحاديث التي لا أصل لها في الأحاديث المروية عن رسول الله ، أي يدخلونها فيها وليست منها» ، أضواء : ٣٨٢ . وقال محمّد بن نشوان : «إنّ الحشوية سمّوا بذلك لكثرة قبولهم الأخبار من غير إنكار» .

يكون ذلك من أسباب إقصائهم له[١] .

وإن كان من بين هذه الجماعة بعض الأزهريّين وغيرهم ممّن انتقدوا المؤلّف وكتابه ـ في بادئ الأمر ـ بأسلوب علميٍّ صحيح يستحقّ أن ينظر فيه ويستأهل أن يردّ عليه ، وقد استجاب المؤلّف لانتقاداتهم وردّ عليهم بأبلغ البيان وأفحمهم في الردّ حتّىٰ تستبين لهم الحقيقة ، ولكن لم يمضِ زمن حتّىٰ طغىٰ قلمهم وغلب عليهم الطيش فعادوا وهجموا عليه بعبارات قاسية ظهرت علىٰ صفحات مجلّاتهم كمجلّة الأزهر وغيرها في مصر والشام والحجاز .

والأمر الذي يثير العجب حقّاً أنّهم منعوا من نشر أيّ ردّ ونقد يرد علىٰ كلماتهم من قبل المؤلّف وغيره في نفس المجلّة لئلّا يفضح علمهم ويظهر للناس جهلهم ، واستمرّ الأمر كذلك حتّىٰ طبع المؤلّف نقده وأدرجه علىٰ صفحات إحدىٰ المجلّات اللبنانية ... فوقع ما وقع .

حياة الأستاذ أبي ريّة :

ولد الأستاذ محمود أبو ريّة في كفر المندرة (مركز أجا) محافظة الدقهلية في (١٥ ديسمبر عام ١٨٨٩م)[٢] . جمع بين الدراسة الأكاديمية والدينية بالمدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد الدينية . قضىٰ أكثر أيّام عمره

---

(١) كما نقل عن معاوية : إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بسبّ عليٍّ علىٰ المنابر . (الغدير : ج٧ : ص١٩٩) .

(٢) الموافق ٢١ ربيع الثاني ١٣٠٧ هجري .

في مدينة المنصورة حتّىٰ وفد إلىٰ الجيزة عام (١٩٥٧م) وبقي فيها إلىٰ حين وفاته.

ومن المؤسف جدّاً أنّنا لم نقف علىٰ ترجمة له إلّا ما ذكره الأستاذ السيّد مرتضىٰ الرضوي في كتابه **مع رجال الفكر في القاهرة**، حتّىٰ أنّ الزِركلي قد فاته ذكر أبي ريّة في **الأعلام** وفي **مستدركاته**[1]؛ فلذلك اكتفينا

---

(١) قال بعض الوهّابيّين في بعض مواقعهم علىٰ الانترنت: «إنّ هذا يكفي في تضليل أبي ريّة حيث لم يكن في كتب التراجم اسم منه». وقد أخذوا هذا المقال من قول السباعي حيث قال: «أبي ريّة فاجر يبتغي الشهرة.. إلخ»، أنظر: السنّة ومكانتها. وقد نسي أنّ التاريخ ذكر أشخاصاً كانت أحوالهم ـ علىٰ حدّ زعمهم ـ أسوأ من أبي ريّة، فقد ذكر التاريخ قصّة الحجّاج بن يوسف وما فعله في شأن المسجد الحرام، ويزيد بن معاوية وقتلة الحسين الشهيد الذي بكت عليه السماء والأرض دماً، ولعلّهم يتصوّرون أنّ سنّة الله قائمة علىٰ محو تراجم من انتقد أبي هريرة والصحابة الذين انقلبوا علىٰ أعقابهم وبدّلوا بعد الرسول تبديلاً، ونسوا أنّ التاريخ المليء بالأراجيف والأوهام بحاجة إلىٰ قراءة جديدة لتبقىٰ الحقائق لائحةً لامعةً في جبينه حتّىٰ تصل إليها يد الباحثين والمحقّقين ذوي الضمائر الحيّة وتعرّيها من الأوهام والشبهات فتتقبّلها الفطرة السليمة والعقول النيّرة علىٰ مرّ العصور لا سيّما في عصرنا الحاضر عصر العلم. وهذا هو التاريخ لا زال يذكر أمثال النظام والجاحظ والأسكافي وابن أبي الحديد والرافعي والدكتور طه حسين والسيّد شرف الدين بالرغم من انتقاداتهم الشديدة علىٰ أبي هريرة ومن شاكله من الصحابة.

وأمّا عدم ذكر ترجمة لِعَلَم عَيْلَم ورائدٍ من روّاد الحركة الإصلاحية للحديث السنّي ـ الأستاذ أبو رَيّة ـ فلأنّه لم يكنْ من أساتذة جامعة الأزهر أو الجامعات الأكاديمية ذات الدراسات الدينية التقليدية وإلّا فليس من المعقول أن لا تذكر له ترجمة وقد طبعت كتبه وشاع صيته واستفحل أمره واستشرىٰ فكره ومنطقه بين حملة العلم وروّاد الفكر، وكيف يُنسىٰ وقد ناهز الثمانين من عمره وقد رحل عنه أصدقاؤه كأمثال الرافعي

بمعلومات قليلة وجدناها في سائر كتب أبي ريّة ومقالاته، وبما ذكره بعض العلماء أحياناً في كتبهم.

وقد ذكر السباعي أنّ أبا ريّة كان يعمل في البلدية في ريعان شبابه، ثمّ تولّىٰ تحرير جريدة **التوفيق** وشارك في تحرير جريدة **المنصورة والسياسة**. كان ـ رحِمه الله ـ مولعاً بشراء الكتب بالرغم من الفاقة التي كان يعاني منها[١] شغفاً منه بالأدب والعلم ومكانتهما عنده.

مشايخه:

لم يدرس الأستاذ أبو ريّة دراسة رسمية في الجامعات الأكاديمية والدينية؛ فلذلك لم يكن له شيخ ولا أستاذ غير عباراته التي تشير إلىٰ الشيخ محمّد عبده[٢] بـ: (أستاذنا) والأستاذ مصطفىٰ صادق الرافعي بـ: (شيخنا)، إلّا أنّ أبا ريّة لم يعدّ الرافعي من أساتذته وإنّما وصفه بمثابة صديق كريم يجيب

والزيّات وسعيد العريان وغيرهم إذ خلّفوه وهم في العقد السادس من عمرهم ولكن شاء الله أن يبقىٰ ذكره لامعاً علىٰ صحائف من نور حيث يذكره القلم.

(١) قال في هامش أحد رسائل الرافعي: «نزلت بنا نكبة مالية بكلّ ما يملك من أبي، وخرج حكم قريتنا من بيتنا بعد أن ظلّ فيه قروناً طويلةً يتولّاه الخلف منهم عن السلف»؟؟؟؟.

(٢) وصفه أبوريّة بأنّه «لا يختلف اثنان في أنّه من كبار أئمّة الدين المجتهدين» (أضواء ص٣٥) و«إمام كبير من أئمّة الدين» (حياة الرافعي: ١٤٣٠) ثمّ وصفه الشيخ مصطفىٰ السباعي بأنّه «كان قليل البضاعة من الحديث، وكان يرىٰ في الاعتماد علىٰ المنطق والبرهان العقليّين خير سلاح للدفاع عن الإسلام». (السنّة ومكانتها للسباعي: ص٣٠). انظر إلىٰ البون الشاسع بين هذا وذاك.

أسئلة صديقه، حتّىٰ أنّ أبا ريّة لم يعدّ السيّد محمّد رشيد رضا من أساتذته مع كثرة الثناء والنقل عنه في كتاباته.

كلمات بعض الأعلام حول أبي ريّة وعلاقاته:

١ ـ العلّامة السيّد محمّد رشيد رضا الحسيني:

نشر أبو ريّة مقالة حول **تفسير المنار ـ تفسير القرآن الحكيم** ـ للأستاذ السيّد محمّد رشيد رضا في جريدة **المقطّم** وأثنىٰ علىٰ الأستاذ وتفسيره، ثمّ طبع رشيد رضا ذلك المقال في مجلّة **المنار**[1]، قال فيها:

كلمة خالصة لوجه الله نشرها في **المقطم** الأستاذ العالم الإصلاحي المستقلّ، والكاتب العصري المستدلّ، السيّد الشيخ محمود أبو ريّة:

(كنت أتمنّىٰ من زمان بعيد أن أظفر **بتفسير المنار**، ظلّت هذه الأمنية تعتلج في نفسي حتّىٰ قيّض الله لي في هذه الأيّام أن أحصل علىٰ أجزائه التي صدرت منه، وما إن قرأت بعض هذه الأجزاء حتّىٰ ألفيتني تلقاء شيء لا عهد لي به من قبل في كلّ ما قرأته من التفاسير، واستبان لي أنّ هذا التفسير نسيج وحده فريد في موضوعه.

لقد قرأت كثيراً من التفاسير التي وُضعت لكتاب الله ووقفت علىٰ طريقة كلّ مفسر ممّن قرأت، وعلىٰ أنّهم ـ رضي الله عنهم ـ قد أتوا بما استطاعوا أن يأتوا به ممّا تَأَتّوْا إليه بعلومهم وأزمانهم وأمكنتهم؛ فإنّهم لم

---

(١) مجلّة المنار ج٣٤ ص٢١٢، ربيع الأوّل ١٣٥٣هـ.

يصلوا في كثير ممّا فسّروا إلىٰ حقيقة دين الله ؛ ولكنّهم يشحنون تفاسيرهم بقبائل مختلفة من آراء من سبقهم من غير أن يمحّصوا هـذه الآراء ليـعرفوا صحيحها من باطلها ، أو يحملوا أنفسهم علىٰ نصب البحث ليزنوا مقدار من قالها ، وظلّ كتاب الله – كما قال حكيم الإسلام السيّد جمال الدين ـ بكراً لم يُفسَّر .

أمّا **تفسير المنار** الذي أخرجه في هذا العصر حجّة الإسلام الإمام الثقة الحافظ السيّد محمّد رشيد رضا ليكون هداية المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فإنّه يمتاز عن كـلّ التـفاسير التـي سـبقته بـمزايـا جـليلة لو ذهـبنا لنستقصيها لطال بنا سبيل القول ، ولاحتاج ذلك إلىٰ مقالات مستفاضة ، ذلك بأنّ هذه المزايا متعدّدة المناحي ، كثيرة النواحي ، وبحسبنا اليوم أن نقول في صراحة وإخلاص بغير أن يتوهّم أحد أن نجنح إلىٰ المغالاة : إنّ هذا التفسير خير ما وضع لبيان مقاصد كتاب الله ، وشرح أحكام دينه في عقائده وعباداته وفضائله وآدابه وحلاله وحرامه كما أراد الله أن تكـون ، لا كـما أراد النـاس بآرائهم وأهوائهم ، وإنّه فيض إلهيّ أفاضه الله علىٰ قلب وارث النبوّة السـيّد محمّد رشيد ، فخرَّج آيات تكشف عن نور القرآن الكريم ؛ ليبدو فـي هـذا العصر كما بدا في زمن البعثة النبويّة والصدر الأوّل زاهراً باهراً .

وممّا راعني في هذا التفسير ما آنسته متجلّياً في كلّ مسألة من العـلم الغَزِيرِ بالمعقول والمنقول ، والإحاطة الشاملة بالسنّة المحمّدية ، والتمييز بين صحيحها وضعيفها ، وما ثـبت مـنها ومـا لم يـثبت ، وسـعة الإدراك للـعلوم

الشرعية، والاطّلاع على العلوم الاجتماعية والنفسية، ومناقشة الرواة والعلماء ورجال الجرح والتعديل في بعض رواياتهم وآرائهم وأحكامهم، حتّى يتبيّن الصالح منها والصحيح، دع ما أوتيه إمامنا من بلاغة العبارة، ودقّة الذوق البياني الذي ينفذ إلى أسرار الإعجاز، فيجلّيها في أحسن معرض. وتراه لقوّة حجّته، ومتانة أدلّته، ومبالغته في التحقيق والتمحيص لا يدع لأحد مهما رسخت قدمه في العلم أن يتصفّح عليه، أو ينقض ممّا قاله كلمة، أو رأياً.

لقد كنّا نرجو أن ينهض علماء عصرنا إلى كتاب الله العزيز، فيدرسوه ويتدبّروا آياته، لكي يثبتوا لأهل هذا العصر أنّ كتابهم صالح لكلّ زمان ومكان، هادٍ لكلّ رقيّ وعمران، على أن يكون عملهم هذا بعيداً عن (مباحث الإعراب وقواعد النحو، ونكات المعاني ومصطلحات البيان، وجدل المتكلّمين، وتخريجات الأصوليّين، واستنباطات الفقهاء المقلّدين، وتأويلات المتصوّفين، وتعصّب الفرق والمذاهب، وكثرة الروايات، مجانباً ما سرى إلى أكثر التفاسير من زنادقة اليهود والفرس، ومسلمة أهل الكتاب).

كما نرجو منهم ذلك؛ ولكنّنا رأيناهم قد أخلدوا إلى مهاد الدعة، واكتفوا بأن يقلّدوا في دينهم مَن سبقهم من شيوخهم، أمّا هذا الكتاب الذي جاء به محمّد صلّى الله عليه وسلّم ليكون هدىً للناس ورحمةً، فلا بأس من أن يحبس للتبرّك به، وأن يتلى في الطرق وعلى الموتى وفي الراديو، ثمّ لا ضير من أن نعيش مع الناس بأجسامنا في هذا العصر، وندع عقولنا تحيا مع أهل القرون المظلمة.

وكان في النفس حسرة، وفي القلب لوعة من هذه الحال التي وصل إليها المسلمون في هذا العصر المتحرّك العامل، ولكنّ الله سبحانه الذي وعد بحفظ (الذكر) الذي أنزله ـ وحفظه بالعمل به، ولا يأتي العمل به إلّا بتبيينه، ولا يبيّنه إلّا وارث للنبوة ـ قيّض له في هذا العصر الإمام الكبير الحافظ السيّد محمّد رشيد رضا، ذلك الذي ورث علم الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، فأنشأ يفسّره على طريقته القويمة التي لا يفسّر الكتاب العزيز بغيرها، والتي ما جاء الدين الإسلامي إلّا بها، ولا عمل الرسول صلّى الله عليه وسلّم إلّا عليها، تلك هي فهم الكتاب العزيز من حيث هو (دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا والآخرة).

وإذا كانت الأصول الدينية قد جاء بها الكتاب وبيّنتها السنّة الصحيحة؛ فإنّ **تفسير المنار** الذي هو منار التفاسير قد أوفى على الغاية من بيان ذلك، ولا غرو فهو التفسير الوحيد الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول، الذي بيّن حكمة التشريع، وسنن الله في الاجتماع البشري، وكون القرآن هداية عامّة للبشر في كلّ زمان ومكان، وحجّة الله وآيته المعجزة.

فتفسيرٌ هذه صفته وذلك أمره يجب على كلّ مسلم يريد أن يعرف دين الله، دين السلف الصالح، دين الفرقة الناجية أن يعكف عليه ويتدبّره؛ ليصبح من الناجين.

هذه كلمة خالصة أملاها عَلَيّ وجداني، وأنا أستمتع بكنوز هذا التفسير، أرسلها صادقةً إلى جميع إخواني المسلمين في مشارق الأرض

ومغاربها، وآمل منهم أن يضّرعوا إلىٰ الله معي أن يطيل في حياة هذا الإمام حتّىٰ يتمّ رسالته بإتمام تفسير كتاب الله، وأن يزيده من فضله، ويبقيه ذخراً للإسلام والمسلمين).

ثمّ بعده علّق السيّد رشيد رضا في الهامش وقال:

نشكر للأستاذ كاتب هذا التقريظ إخلاصه في ثنائه وإطرائه، وحسن بيانه لما اعتقده وفاض من وجدانه، فقد صدر **المقطم** الذي نشر له في مساء الحادي عشر من ربيع الأوّل، فقرأه في الليل جماعة من العلماء والأدباء الأزهريّين وغيرهم كانوا يسمرون عندنا **بدار المنار** في ليلة ذكرىٰ المولد النبوي الشريف، فاتّفقوا علىٰ أنّه كلام عالم معتقد مخلص كتبه لوجه الله تعالىٰ كما قال، فأمّا ما قاله في غرضي وقصدي من هذا التفسير وطريقتي فيه فهو كما قال، ولله الفضل والشكر، وأمّا ما أطراني به من سعة العلم والحفظ فهو مبالغة منحني بها ما هو أكثر ممّا عندي، فإن حفظي قليل ولا أقبل من كلام العلماء إلّا ما أعتقد، وإنّما بضاعتي التي أرجو نفعها للناس وقبولها عند الله عزّ وجلّ فهي الإخلاص في تحرّي الحقّ الذي أنزل الله به وله القرآن، وبيانه بما يفهمه أصناف القرّاء، ويرجىٰ أنّه يؤثّر في قلوبهم بقدر استعدادهم وحسن الإمكان وحال الزمان، ولا أزال طالباً للعلم، آسفاً لضيق الوقت عن تحصيل كلّ ما أحبّ من الاستزادة منه».

٢ ـ السيّد عبد الحسين شرف الدين:

استقصيت في كلمات وآثار السيّد شرف الدين فعثرت علىٰ ما يلي:

أ ـ قال السيّد شرف الدين ـ رَحِمه الله ـ في كتاب **النصّ والاجتهاد** في المورد الثامن من اجتهادات أبي بكر خلافاً للنصّ حول نحلة الزهراء:

«وإليك كلمة في هذا الموضوع لعَيلَم[١] المنصورة الأستاذ محمود أبو ريّة المصريّ المعاصر، قال: بقي أمرٌ لابدّ أن نقول فيه كلمةً صريحةً: ذلك هو موقف أبي بكر من فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وما فعل معها في ميراث أبيها، لأنّا إذا سلّمنا بأنّ خبر الآحاد الظنّي يخصّص الكتاب القطعي، وأنّه قد ثبت أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قد قال: (إنّه لا يورّث) وأنّه لا تخصيص في عموم هذا الخبر، فإنّ أبا بكر كان يسعه أن يعطي فاطمة رضي الله عنها بعض تركة أبيها صلّىٰ الله عليه وآله كأن يخصّها بفدك، وهذا من حقّه الذي لا يعارضه فيه أحد، إذ يجوز للخليفة أن يخصّ من يشاء بما شاء.

قال: وقد خصّ هو نفسه الزبير بن العوّام [وكان صهره علىٰ أسماء]، ومحمّد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبيّ[٢]، علىٰ أنّ فدكاً هذه التي

---

(١) عَيلَم: البئر الكثيرة الماء (تاج العروس).

(٢) قال السيّد شرف الدين في الهامش تعليقاً علىٰ كلام أبي ريّة: «وخصّ بنته أمّ المؤمنين بالحجرة فدفنته حين مات فيها إلىٰ جنب رسول الله، ثمّ دفن فيها خليفته عمر برخصة منها، فلمّا توفّي الحسن ريحانة رسول الله أراد بنو هاشم تجديد العهد فيه بجدّه.

فكان ما كان ممّا لست أذكره ... فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون». (النصّ والاجتهاد: ص٧٠).

منعها أبو بكر لم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان»[١].

ب ـ ما قاله السيّد مرتضىٰ الرضوي في التعريف بالأستاذ أبو ريّة بعد أوّل لقاء له به فسأله عن أبي هريرة، فوصفه الأستاذ أبو ريّة بـ: (رجل وضّاع)، فقال له السيّد الرضوي: قد ألّف الإمام شرف الدين العاملي كتاباً في حياة هذا الراوية المكثر وأسماه: **أبو هريرة**، فمدّ فضيلته يده إلىٰ حقيبة كانت معه وأخرج منها كتاب: **أبو هريرة** الذي ألّفه الإمام شرف الدين العاملي وكانت الطبعة الأولىٰ طبعة صيدا ـ لبنان: وقال: هذا ما أهداه لي الإمام شرف الدين، فناولني النسخة فأخذتها بيدي فرأيت الإهداء بخطّ الإمام شرف الدين علىٰ الكتاب وفيه: ما يشعر بجهاده وعلمه وإكباره [للأستاذ أبي ريّة].

ثمّ أخبرته بوفاة هذا المصلح ـ شرف الدين ـ قبل أسبوع في يوم الإثنين الماضي الموافق (٨ / ٦ / ١٣٧٧ هجري) فتأثّر كثيراً وقال: كان في نيّتي إهداء كتاب **الأضواء** له عند إتمامه من الطبع[٢].

ج ـ رسالة الأستاذ أبي ريّة إلىٰ السيّد شرف الدين:

سيدّي العالم الجليل السيّد عبدالحسين شرف الدين العاملي حفظه الله.

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته:

وبعد، فقد قرأت في العدد (٤٢٧) من مجلّة **الثقافة** تقريظاً لكتابكم[٣]

---

(١) هذا كلامه بنصّه قد نشرته مجلّة (الرسالة) المصرية في عددها ٥١٨ من السنة ١١ فراجعه في ص ٤٥٧.

(٢) مع رجال الفكر: ١٣٦.

(٣) طبع هذا المقال ـ وهو للأستاذ أحمد أمين ـ في مقالتنا في مجلّة تراثنا الغرّاء العدد ١١٧ ـ ١١٨ إستدراكاً علىٰ موسوعة السيّد شرف الدين رحمة الله عليه.

عن أبي هريرة، فسرّني أن يظهر كتاب في هذا الرجل الذي كان أوّل راوية اشتهر في الإسلام، ولأنّي ألّفت كتاباً في حياة الحديث المحمدي وتاريخه وجعلت فيه ترجمة طويلة لهذا الرجل الذي أضرّ الدين بكثرة رواياته، فإنّي أرجو من سيّدي الجليل أن يتفضّل بإرسال نسخة من كتابه حتّىٰ إذا وجدت فيه شيئاً قد فاتني من تاريخ هذا الرجل زدته علىٰ ما كتبته، وجعلت كتابكم من مصادر كتابي التي بلغت مئات الكتب.

وإنّي سأقدّم كتابي قريباً للمطبعة وعند ظهوره إن شاء الله أرسل لحضرتكم نسخة منه وقد كتبت عن هذا الكتاب في أعداد مجلّة **الرسالة** الغرّاء رقم (٦٣٣ و٦٥٤ و٦٥٤)[1] عندما يتفضّل سيّدي بإرسال هذالكتاب...

العنوان: الشيخ محمود أبو ريّة. المنصورة. مصر.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من المخلص ـ محمود أبو ريّة.

٣ ـ السيّد صدر الدين شرف الدين:

تعرّف علىٰ الأستاذ وربطت حبل المودّة والمكاتبة بينهما عن طريق الأستاذ الرضوي، قال الرضوي:

«وقد تبودلت الرسائل بينه [أبو ريّة] وبين السيّد صدر الدين شرف الدين وطلب من الشيخ أن يراسله وأرسل له فصولاً من كتابه **شيخ المضيرة**

(١) هكذا في أصل الموسوعة، ج٩ ص ٤٤٣٧.

فنشر منه في عدّة أعداد من مجلّته **مجلّة النهج** وتوثّقت بينه وبين الشيخ الاتّصالات، وتبادلت بينهما الرسائل حتّىٰ استطاع الأستاذ صدر الدين أن يقوم بطبع كتابه **شيخ المضيرة** الطبعة الأولىٰ في صور ـ لبنان[1] ـ وكما تبادلت

---

(١) وفي تلك الفترة كتب الأستاذ صدر الدين مقدّمة علىٰ كتاب شيخ المضيرة قال فيها :

«أقدّم كتاباً ما عرفت صاحبه من قبل، وإذا كان جهل مثله خموماً في الاطّلاع وقصوراً في النشاط، فإنّي أحمد لعدوّه أن زكّاه عندي وهو يبالغ بتجريحه والعدوان عليه.

ولقد عرفته أوّل مرّة في كتاب (السنّة) للدكتور السباعي، إذ استهدفه هذا بنقد عاطفي دلّني علىٰ القيمة في (أبو ريّة) وفي (أضوائه) الصافية، الأمر الذي أتاح لي شرف الدفاع عن الحقيقة فيه وفي كتابه المذكور دون معرفة به، ولا إلمام بكتابه.

وعرفته بعد ذلك من خلال (أضوائه) فعرفت عالماً متبحّراً يلين بيده الموضوع الصعب، ويرتفع بناؤه منهجيّاً، يوازن شكله محتواه وينهض به، وفي الحقّ أنّه من أنفس ما أنتجته الدراسات الإسلامية الحديثة، وأهداها في فنّ الوصول إلىٰ الحقيقة.

ولا يقلّ (شيخ المضيرة) الكتاب الذي نقدّمه عن كتاب (الأضواء) بل هو فلذة منه تناولها المؤلّف بالتحسين، وخصّها برعاية أبرزتها عملاً مستقلّاً ذا عطاء يغني محصول (الأحياء) المعتبر اليوم أحد مصادر تقدّمنا الأساسية.

وقد أوضحنا غير مرّة أن تجديد الأبحاث القديمة شيء، ونبش الضغائن شيء آخر، وأنّ التناول الموضوعي هو القياس في التمييز بينهما، ولا حاجة للتأكيد أنّ أوّلهما نافع، وثانيهما ضارّ، ولكن ما يجب التحذير منه هو الخلط بينهما، فالخلط خبط يثير الحفائظ وينتج الفتن، ولا ينفع إلّا الأعداء.

أقول هذا وأشير إلىٰ العلّامة مؤلّف هذا الكتاب الناهض شاهداً من عشرات الشواهد علىٰ نتائج الخلط المشار إليه، أفليس من أغرب ما يسمعه المرء المعاصر أن يحاصر كاتب حرّ وتضرب حوله السدود والأقفال لرأي قاده إليه الدليل، وحرّكه نحوه الجهر بالحقّ؟

تلك هي محنة العلّامة (أبو ريّة)، وهي محنة إذا وجدت في القرون الوسطىٰ

الرسائل بينه وبين الشيخ محمّد جواد مغنية حول طبع **شيخ المضيرة أبو هريرة** وذلك قبل أن يتمّ الاتّفاق مع السيّد صدر الدين شرف الدين، كما تبادلت الرسائل بينه وبين آية الله الخوئي، والأستاذ رشيد الصفّار[1]، وكان آية الله الخوئي عندما تصل إليه رسائل الشيخ محمود أبو ريّة كان يرسل عليّ ويطلعني عليها أو يرسلها لي لأطّلع عليها.... قال ـ تغمّده الله برحمته ـ في

مسوّغاً من عشوائية المرحلة فليس لها في عصرنا أدنى مسوّغ، وأغرب ما في هذه المحنة أن طوقها من صنع غير الحكّام خلافاً للمعهود في الأزمنة الغابرة.

الطوق اشترك في حبكه حول (أبو ريّة) كتّاب كالسباعي أحاطوه بأراجيف وافتراءات منفردة، وناشرون استغلّوا ظرفه هذا فاشترطوا لنشر كتابه تجريده من حقوق المؤلّف، ولك أن تجد بين هؤلاء وأولئك سبب تطوّعنا لنشر هذا الكتاب الجليل.

بقي أنّ السباعي وأمثاله سيؤكّدون للبسطاء من قرّائهم تهمة تشيّع (أبو ريّة) ويسوقون التهمة ـ كما جاءت في كتاب السنّة ـ بأسلوب المرجفين، وليت السباعي يحيى عصره ليخفّف على نفسه ثقل هذا الأسلوب الغليظ، فالتشيّع لم يعدّ كفراً، ولا إلحاداً في الدين، ولم يعد التسنّن ضلالة، ولا خروجاً على الإسلام كذلك، وإنّما هما في مفهوم الوعي الحديث جدولان يتألّف منهما نهر الإسلام الكبير، فلا يخطّئ الإسلام متديّن تشيّع أو تسنّن، أمّا الذين يخطّئونه حقّاً فإنّما هم المرجفون المفرّقون المتعصّبون من الفريقين.

والبحث في الحديث والمحدّثين بحثاً علمياً ينفض عنهما غبار القِدَم رسالة لا يقدّرها حقّ قدرها إلّا مسلم يعيش الإسلام بعلم وإخلاص. هدانا الله لما فيه صلاح أنفسنا ومصلحة أمّتنا، ولا يشذّ عن هذين تأليف هذا الكتاب ولا نشره، ولا الانتفاع بقراءته واقتنائه.

صدر الدين شرف الدين».

(١) رئيس ملاحظي الحقوق في المصرف الزراعي المركزي في بغداد، ومحقّق (ديوان الشريف المرتضى) المطبوع في ثلاثة أجزاء بمصر، وكتاب (جمل العلم والعمل) للشريف المرتضى أيضاً وطبع في النجف وإيران.

أحد رسائله خطاباً إلىٰ المرجع الديني السيّد الخوئي :

(عزمتُ علىٰ وضع كتاب باسم : **أمير المؤمنين عليٌّ وما لقي هو وبنوه من أصحاب رسول الله**[١] .

أوّلاً : من الثالوث الأوّل أبو بكر وعمر وعثمان .

ثانياً : من الثالوث الثاني عائشة وطلحة والزبير .

وثالثة : الأثافي[٢] ما صنعه عثمان من تأسيس الدولة الأموية ثمّ انتهاء أمر الخلافة إلىٰ سكّير خمر عربيد[٣] ملعون هو وأبوه وجدّه .

وإنّي الآن أعكف علىٰ قراءة المصادر التي تعينني علىٰ ذلك وكلّ ما أرجوه أن يوفّقني الله إلىٰ أداء هذا العمل علىٰ أكمل وجه .

محمود أبو ريّة

القاهرة

١٢ / ١ / ١٣٨٨ هـ)» .

* وممّا يقتضي العجب أنّ الأستاذ صدر الدين وأبا ريّة قد رحلا في نفس السنة (١٣٨٩ هجري) ، أحدهم في القاهرة والآخر في بيروت . رحمة الله عليهما .

---

(١) كتب هذا الكتاب وبقي مخطوطاً ، ووعد السيّد الرضوي بطبعه ولكن . . . .ليس كلّ ما يتمنّىٰ المرء يدركه .

(٢) الأُثْفِيَةُ ، والإِثْفِيَةُ : الحَجَرُ الَّذِي تُوضَعُ عليه القِدْرُ ، وجَمْعُها : أَثافِي .

(٣) العِرْبِيدُ والمُعَرْبِدُ : السَّوَّار في السُّكر .(لسان العرب : مادّة عربد) .

٤ ـ العلّامة السيّد مرتضىٰ العسكري :

كان العلّامة العسكري من الأوّائل الذين عرّفوا الأستاذ علىٰ الشيعة وأعلامها ؛ يقول العلّامة في مقدّمة كتاب **عبدالله بن سبأ** بعد مرور سنة واحدة علىٰ وفاة الأستاذ :

وفاء وذكرىٰ :

تبودلت خلال عشر سنوات كتب كثيرة بيني وبين عالم مصر الباحث وفقيدها الراحل الشيخ محمود أبو ريّة ، نشر هو رحمه الله اثنين من رسائلي إليه في كتابه : **أضواء علىٰ السنّة المحمّدية** ، وأسجّل هنا أمام هذا الكتاب اثنين من رسائله إليّ وفاءً له ، وذكرىٰ لمرور عام علىٰ وفاته ، تغمّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنّته[1] .

بسم الله الرحمٰن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ مرتضىٰ العسكري

من كبار علماء النجف الأشرف ـ بالعراق

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :

فقد جرىٰ حديث بين جمع من العلماء الأحرار وجاء ذكر العلماء المتحرّرين وتآليفهم التي تنفع المسلمين ، فذكر بعضهم أنّ سيادتكم ألّفتم

---

(١) أثبتناها هنا بسببين : أوّلاً لنفاستها وثانياً قد لا يكون هذا الكتاب ـ عبدالله بن سبأ ـ في متناول أيدي القراء .

كتاباً قيّماً عن **عبد الله بن سبأ** ذكرتم فيه حقائق لم يهتد أحد قبلكم إليها، وصرّحتم بآراء لا يستطيع مقلّد جامد أن يجهر بها، فحبّب لي ذلك أن أطّلع على هذا المؤلّف النفيس واستخرت الله أن أطلبه من سيادتكم ويقيني أنّكم ستتفضّلون بإرسال نسخة منه، ولسيادتكم أخلص الشكر سلفاً. والسّلام عليكم ورحمة الله.

المخلص محمود أبو ريّة

مصر الجيزة في ١٧ من المحرّم سنة ١٣٨٠ هـ.

الموافق ١١ / يوليه / سنة ١٩٦٠ م.

كان هذا أوّل كتاب تلقّيته من المغفور له الشيخ أبو ريّة، وتلقّيت منه الكتاب الآتي بعد تلبية طلبه وإرسال الجزء الأوّل من **عبد الله بن سبأ** إليه.

بسم الله الرحمن الرحيم

سيّدي الكريم العالم الجليل الأستاذ مرتضى العسكري حفظه الله.

سلام عليكم ورحمته وبركاته.. وأدعوه تعالى أن تكونوا على خير ما أرجو لكم صحّة وعافية - وبعد.

فإنّي انتهز اليوم هذه الفرصة فأذكر لكم كلمة وجيزة عن مؤلّفكم النفيس **عبد الله بن سبأ** بعد القراءة الأولى لأنّي سأعود إلى قراءته مرّة أخرى فأقول لكم: إنّ بحثكم في هذا الكتاب كان بحثاً أكاديميّاً لم يطرقه أحد قبلكم، وإنّي أهنّئكم تهنئةً صادقةً على أنّ الله قد وفّقكم للقيام بهذا البحث وهداكم إلى الوصول إلى هذه الحقائق التي لم يهتد إليها أحد في الأربعة عشر

قرناً الماضية ، وقد صدّق بحثكم هذا ما قاله بعض علماء أوربّا ـ وأظنّه (ويلز) ـ من أنّ التاريخ كلّه أكاذيب!! وأنّ هذا لينطبق ـ وا أسفاه ـ على التاريخ الإسلامي الذي أملته الأهواء والعصبيّات في كلّ عصر... حتّىٰ أصبح في حاجة إلىٰ أن يدرس من جديد دراسة عميقة صحيحة ، وإنّ كتابكم ـ **عبد الله ابن سبأ** ـ (ليعُدّ بحقّ) المدخل لهذه الدراسة فاحمدوا الله علىٰ أن ادّخر ذلك إليكم ، واستعينوا بالله وسيروا في طريقكم ملتزمين هذه السنن ، ولا تبالوا أحداً أبداً .

وكلّ ما أرجوه أن تظهروا الحقائق كما تبدوا لكم بعد التمحيص ، وأن تتلطّفوا في استخراج النتائج من مقدّماتها وتدعوا للقارئ أن يستزيد من فهمها وبخاصّة فيما يتّصل بأبي بكر وعمر ، لأنّ العقول ما زالت لا تحتمل الحقائق ظاهرة مكشوفة .

أختم بأطيب التحية ، والسّلام عليكم ورحمة الله .

المخلص محمود أبو ريّة

الجيزة ٩ شارع قرّة بن شريك .

٢٠ رجب سنة ١٣٨٠ هـ ، في ٧ يناير ١٩٦١ م .

٥ ـ السيّد مرتضىٰ الرضوي :

إنّه أوّل من ترجم أبا ريّة وكتب عنه ترجمةً مفصّلةً وذكر ملاحظاتٍ من أبي ريّة لم يكن يعرفها أحد من قبل كاتّصال أبي ريّة بالسيّد الخوئي والشيخ

مغنية وسائر علماء الإمامية.

إنّه كان يرسل لأبي ريّة جميع ما يحتاج إليه من مصادر الشيعة.

قال الرضوي: قال لي بالحرف الواحد:

ألّفت هذا الكتاب ـ **أضواء** ـ لأقدّمه إلىٰ سدّة الرسول الأعظم صلوات الله عليه وقد نزّهت أحاديثه ممّا شأنها، تقرّباً إليه، وزلفاً إلىٰ ربّه، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلّا من أتىٰ الله بقلبٍ سليم، ﴿**وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَواباً**﴾[1].

وقال في أحد رسائله إلىٰ السيّد الرضوي:

أسرّك بخبرين، ذلك أنّني تلقّيت أخيراً **تفسير التبيان** لشيخ الطائفة وهو في عشرة أجزاء كبار وكانت هديّة من المفضال الحاجّ عبد الرزّاق العويناتي، و**كتاب الغدير** من تأليف العالم الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي، وهو ١١ مجلّداً وهو دائرة معارف، وقد عكفت علىٰ قراءته لأنّه يعينني كثيراً علىٰ الكتاب الذي أنا بصدده عن عليٍّ عليه السلام وأدعو الله أن يعينني علىٰ قراءته واستخراج ما فيه ممّا ينفع كتابي، والذي تفضّل بإرساله إليّ هو العلّامة: أحمد الوائلي.

وقال أيضاً:

---

(١) سورة مريم: ٧٦.

في ٥ / ١١ / ١٩٦٩م وصلتني رسالة من الأستاذ أبو ريّة تاريخها٢٦ / ١٠ / ١٩٦٩م من القاهرة يقول فيها:

كتاب **قصّة الحديث المحمّدي** الذي كانت وزارة الثقافة قد طلبته منّي منذ عشر سنين ووقف الأزهر في سبيله حتّىٰ لا يظهر قد أراد الله أن يظهر رغم أنف الأزهر بعد ما قرأه الدكتور طٰه حسين وشهد بقيمته شهادةً فائقةً وسأرسل لك نسخةً منه هديّة ومعها بعض نسخ لأصدقائنا الأعزّاء ومع كلّ نسخة بيان مطبوع منّا...

وفي ٢٠ / ١١ / ١٩٦٩م جاءني البريد ويحمل ملفّاً فيه ثلاث نسخ من الكتاب ـ **قصّة الحديث المحمّدي** ـ أحدهما كانت باسمي، والثانية باسم السيّد العسكري، والثالثة للأستاذ رشيد الصفّار، وفي كلّ نسخة بيان مطبوع وإليك نصّه:

للحقيقة والتاريخ:

كان من حقّ هذا الكتاب ـ **قصّة الحديث المحمّدي** ـ أن يخرج إلىٰ الناس مطبوعاً منذ أكثر من عشر سنين، ذلك بأنّ وزارة الثقافة المصرية كانت قد طلبت منّا مختصراً لكتابنا: **أضواء علىٰ السنّة المحمّدية** عندما ظهرت طبعته الأولىٰ في سنة ١٩٥٨م لتجعله حلقةً في سلسلة مكتبتها الثقافية، وقبل نشره عرضته علىٰ الأزهر ليبدي رأيه فيه وما كاد يقف عليه حتّىٰ أرصد له من كيده فرماه بأنّ فيه ما يخالف الدين، وطلب عدم نشره وتداوله بين

المسلمين، ولم تستطع هذه الوزارة أن تخالف عن أمره لأنّه ما يربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وظلّ هذا الكيد يلاحق الكتاب هذه السنين الطويلة لكي يحول دون نشره بين الناس[١] إلى أن علم أخيراً بالأمر نصير الدين والفكر الدكتور طه حسين طلب أصول الكتاب من وزارة الثقافة ولما اطّلع عليه أعاده علينا مع خطاب، دحض فيه ما رماه الأزهر به. وصرّح في جلاء أنّه موافق للدين كلّ الموافقة لا يخالفه ولا ينبو عنه في شيء مطلقاً.

وأنّه مفيد فائدة كبيرة جدّاً في علم الحديث... وأنّ في نشره الخير كلّ الخير، والنفع كلّ النفع وبذلك انحسم الأمر، وحصحص الحقّ، واتّخذ الكتاب سبيله إلى الناس مطبوعاً لينتفعوا به.

ولأهمّية خطاب الدكتور طه حسين نشرنا صورته على غلاف الكتاب، تبصرة لأولي الألباب.

محمود أبو ريّة ١٣ / ١٠ / ١٩٦٩م[٢]

---

(١) «وقف الأزهر في سبيل هذا الكتاب كما وقف في سبيل كتابين لنا آخرين وهما كتاب: (دين الله الواحد) وكتاب (صيحة جمال الدين) وقامت في سبيل ذلك معارك حامية على مجلّة الأزهر وغيرها واهتمّ الناس بهذه المعارك وتوقّعوا ما قد يترتّب عليها من عواقب قد تضرّنا لأنّ الأزهر بقوّته وجحافله كان يحاربنا ونحن وحدنا ولم يكن وراءنا في هذا المعمعان أحد يؤيّدنا، ولكن الله سبحانه هو العون والوزر وقد كتب لنا بفضله النصر والظفر، وبتأييده تعالى باءت كلّ الحملات التي وجّهت إلينا. من كلّ جانب بالخيبة والهزيمة والحمد لله حمداً كثيراً». أنظر: مع رجال الفكر في القاهرة ١ / ١٥٤ هامش ٢.

(٢) مع رجال الفكر ١ / ١٣١ ـ ١٥.

٦ ـ العلّامة السيّد محمّد حسين الحسيني الطهراني :

ينقل عن كتابه كثيراً كما في كتاب **معرفة الإمام**[١] وكتاب **نور ملكوت القرآن** ويصفه بـ:

العالم والفقيه المستبصر السنّيّ المصريّ، المتحرّر من التعصّب المرحوم الشيخ محمود أبو ريّة ـ حشره الله مع أميرالمؤمنين وأبنائه المعصومين، وأبعده ممّن يتبرّأ منه ويُبغضه ـ في كتابه القيّم الكريم **أضواء على السنّة المحمّديّة** الذي أرىٰ من الضروريّ لكلّ طالب علم يخطو في طريق الحديث والفقه والأصول أن يطالعه بدقّة ويمعن النظر فيه من أوّله إلىٰ آخره[٢].

وقال أيضاً في أدلّة ولاية الفقهاء في الحديث المرويّ عن الإمام العسكريّ ـ سلام الله عليه ـ بعد أن بحث حول التفسير المنسوب إليه وبيان الضعف والتدليس لدىٰ الوضّاعين وانتشار الموضوعات من الأحاديث يقول:

«وكَتَبَ علماء الشيعة قصصاً كثيرة حول الوضع والكذب في الروايات، وأوردوا مطالباً نافعة، كما أنّ بعض محقّقي العامّة أيضاً قد أوردوا أبحاثاً مفيدة في ذلك، ومن أجودها وأحسنها كتاب **أضواء علىٰ السُّنَّة المحمّديّة** للشيخ أبو ريّة، العالم الخبير والمتضلّع والبصير والمنصف الشهم، حيث

---

(١) في بحوث كثيرة وخاصّة في بحث: تَقَدُّمُ الشِّيعَةِ وَتَأسِيسُهُمْ جَمِيعِ العُلُومِ، وبحث: إرْجَاعُ مُعَاوِيَةَ مَسَارَ النُّبُوَّةِ العَادِلَةِ إلىٰ الطَّاغُوتِيَّةِ المُتَجَبِّرَة.

(٢) معرفة الإمام ١٤ / ٢٨٨.

أزاح في كتابه الستار عن كثير من جرائم الحديث، وضعّف أسس وبناء أصول العامّة وأهل السنّة وكتبهم. ومن اللازم لطلّاب العلوم الدينيّة مطالعة الكتاب والتدقيق في جميع محتوياته، لزيادة الخبرة والبصيرة في تحوّل الرواية، وعدم الاعتماد على حديث وفقه العامّة».

٧ ـ السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي:

كثيراً ما يعبّر عنه في حواشيه على **إحقاق الحقّ** للقاضي نور الله الشهيد بـ: «العلّامة المعاصر المنصف».

الصفات البارزة لأبي ريّة:

١ ـ لا يخشون أحداً إلّا الله:

كان الأستاذ يحرّض الناس ويحضّهم على التحقيق في نصوص دينهم وعدم المبالاة بتكفير الأزهر والأزهريّين ـ كما هو من دأبهم[١] ـ. حيث كان يرفض عدالة بعض الصحابة ويصف بعضهم بـ: (الوضّاع) و(الكذّاب) وغيرها من الصفات ولا يخشى أحداً إلّا الله في ذلك، حيث اختتم الأستاذ

---

(١) يقول الأستاذ أبو ريّة: «كنت ذات يوم مع الشيخ محمّد أبو زهرة في كلّية الحقوق وجاء ذكر طريقة الأزهر في المناقشة [الذي يقوم على السبّ والشتم والطعن في دين الغير ممّا يحسبونه من أسباب التفوّق والغلب] وكان قد أفاض علينا ذنوباً من هجائه المعروف فسألته: لم يتّخذ الأزهر هذه الطريقة؟ فقال: إنّ هذه هي طريقتنا ولا يمكن أن نتحوّل عنها، فهنّأته عليها وسكت!» (شيخ المضيرة: ٢٨).

أحد كلماته القيّمة حول أبي هريرة بقوله:

«لو أنّ أبا هريرة هذا الذي كشفت عن حقيقة تاريخه هنا كان كما يزعمون ـ راوية الإسلام ـ في عقائده وعباداته وأحكامه وآدابه بحيث لا يؤخذ في ذلك كلّه إلّا بما يرويه، ولا يتّبع إلّا ما يحكيه، وأنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قد عهد إليه وحده أن يكون راوية الإسلام للناس كافّة لكنت أوّل كافر به، ولا أبالي! والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ رسوله الصادق الأمين، وعلىٰ آله الأطهار الأكرمين، ورضىٰ الله عن أصحابه الصادقين المخلصين، الذين اتّبعوه بإحسان وظلّوا علىٰ هديه سائرين غير المنافقين الكاذبين، الذين ركبوا أهواءهم وغيّرتهم الدنيا وزينتها فباءوا بالخسران المبين»[1].

٢ ـ المودّة في القربى:

أوذي في سبيل العقيدة الإسلامية إيذاءً شديداً واستمرّ إلىٰ آخر يوم في حياته وهو يسعىٰ جاهداً في طريق الحقّ بصدق وإيمان، وكان يدافع عن أهل بيت العصمة وينتصر لهم في مقالاته وكتبه، واقتطفنا هنا بعض أقواله في الذبّ عن آل البيت عليهم السلام في كتابيه **أضواء وشيخ المضيرة**:

أ ـ إنّه ينقل أنّ البخاري لم يرو حديثاً عن جعفر بن محمّد الصادق سلام الله عليه، ثمّ يقول معلّقاً:

---

(١) شيخ المضيرة: ٢٧٦.

«وإذا كان البخاري لا يحتجّ بمثل هذا العَلَم الشامخ فبمَن يحتجّ؟»[١] .

ب ـ قال الأستاذ بعد البحث عن عدالة الصحابة بالصراحة :

«يقول الفقهاء : إنّ الباغي علىٰ الإمام الحقّ ، والخارج عليه بشبهة أو بغير شبهة هو فاسق ، ولا ندري ماذا يقولون فيمن خرج علىٰ عليٍّ من كبار الصحابة؟ هل يدخلون تحت هذا الحكم؟ أم أنّ الصحبة تخرجهم منه؟!»[٢] .

ج ـ ويقول أيضاً :

«كانت عائشة كما قلنا تسوّغ خروجها علىٰ عليٍّ بأنّها تطالب بثأر عثمان علىٰ حين أنّ القرآن يقول في سورة الأحزاب ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ** . . .﴾[٣] الآية ، وانظر الفرق الهائل بينها وبين الحصان العاقلة الرزان[٤] أمّ سلمة التي كانت تقول كما روىٰ البخاري عنها : لا يحرّكني ظهر بعير حتّىٰ ألق النبيّ»[٥] .

د ـ يذكر مترجم الفارسية لكتاب **شيخ المضيرة** أنّ الأستاذ أبا ريّة يدافع عن أهل البيت مع احترام مؤكّد في حقّهم ، يقول الأستاذ في الهامش :

«أنّ حبّ آل البيت والتشيّع لهم لفرض علىٰ كلّ مسلم مؤمن برسالة

---

(١) أضواء : ٣٤٣ .

(٢) شيخ المضيرة : ١٧٦ .

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) امرأة رزان: ذات وقار وعفاف (العين: رزن)؛ رزن الرجل بالضمّ فهو رزين أي وقور، وامرأة رزان إذا كانت رزينة في مجلسها (مجمع البحرين: رزن).

(٥) نفس المصدر : ١٧١ .

محمّد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم»[١].

٣ ـ وجادلهم بالتي هي أحسن :

إنّ علماء العامّة تعتمد في دراساتها للحديث علىٰ مصادرها فقط ولا تراجع مصادر أخرىٰ غيرها، وقليلاً ما تجد أحداً من علماء السنّة ينقل عن كتب الشيعة، ولذلك فإنّك نادراً ما ترىٰ كتاباً من كتب الشيعة في مكتباتهم لا في الحجاز ولا في مصر ولا في الشام ولا في غيرها من البلاد الإسلامية، وإذا أراد أحدٌ منهم أن ينقل كلمة من أعلام الشيعة يرمونه بالتشيّع ويقولون: إنّه يأتينا بكلام لا نعرفه، ولا نثق به! فنرىٰ من بين القوم أناساً كانوا يستمعون صولة الحقّ فيحقّقون وينقّبون ولا يبالون حتّىٰ تنكشف لهم حقيقة الأمر فأولائك هم ﴿الَّذِيْنَ يَسْتَمِعُوْنَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُوْنَ أَحْسَنَهُ﴾[٢] وكان الأستاذ أبي ريّة منهم وهو من أقدم السائرين في ذلك النهج، إذ تراه يتعامل مع كتب الشيعة تعاملاً علمياً بكلّ أدب وإجلال، وفوق ذلك كلّه كان يحرّض الناس علىٰ قراءة كتب الشيعة والاستفادة منها، كما أنّه كتَب علىٰ بعضها مقدّمة نفيسة تحكي عن تبحّره وسيطرته علىٰ التاريخ والحديث.

هذا وهنا قائمة بأسماء كتب الشيعة التي نقل الشيخ أبو ريّة عنها في كتبه أو كان يثني عليها في مقالاته في المجلاّت المصرية:

---

(١) شيخ المضيرة: ٣٠٩.

(٢) الزمر: ١٨.

ـ نهج البلاغة وفي ذيله شرح الحديدي:

أوصىٰ الرافعي أبا ريّة أن يحفظ **نهج البلاغة** لتقوية إنشائه في الكتابة لمّا سأله أبو ريّة عنه في ذلك.

ـ البيان في تفسير القرآن للسيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي:

«وهذا الكتاب وحده كاف في بيان هذا الأمر لأنّ مؤلّفه الجليل قد درسه درساً وافياً، وفصّل فيه القول تفصيلاً بحيث لا تجد مثله في كتاب آخر حتّىٰ ليجب علىٰ كلّ مسلم أن يقرأه ليستفيد منه علماً ومعرفة»[١].

ـ عبد الله بن سبأ للسيّد مرتضىٰ العسكري:

«قد ظهر كتاب نفيس اسمه **عبد الله بن سبأ** من تأليف العالم العراقي الكبير الأستاذ مرتضىٰ العسكري أثبت فيه بأدلّة قويّة مقنعة أنّ هذا الإسم لا حقيقة له....»[٢].

ـ أحاديث أمّ المؤمنين عائشة للسيّد العسكري أيضاً:

كتب الأستاذ مقدّمة طويلة[٣] علىٰ هذا الكتاب وجعلها العلّامة

---

(١) أضواء: ٢٤٨.

(٢) نفس المصدر: ١٧٨.

(٣) بسم الله الرحمن الرحيم

يحسب العامّة وأشباه العامّة من الذين يزعمون أنّهم علىٰ شيء من العلم أنّ التاريخ الإسلامي ـ وبخاصّة في دوره الأوّل ـ قد جاء صحيحاً لا ريب فيه، وأنّ رجاله جميعاً ثقات لا يكذبون، وهم ـ من أجل ذلك ـ يصدّقون كلّ خبر جاء عن هذه الفترة، ويشدّون أيديهم علىٰ تلك الأحاديث التي شحنت بها الكتب المشهورة في الحديث،

تلك التي حملت الطمّ والرمّ ، والغثّ والسمين ، والصحيح القليل ، والموضوع الكثير .

وقد بلغ من ثقتهم بأحاديث هذه الكتب ، أنّ من يشكّ في حديث منها يُعَدُّ في رأيهم فاسقاً!!

وإذا كان الله قد آتاهم عقولاً ليفهموا بها ، وأفهاماً يَزِنونَ بها ، فإنّهم يعطّلون هذه المواهب استمساكاً بالتقليد الأعمىٰ ، والتعبّد لمن سلف!

وإذا أنت بصّرتهم بالحقّ ، وبيّنت لهم المحجّة الواضحة ؛ لوّوا رؤوسهم ، وأصرّوا علىٰ معتقداتهم واستكبروا استكباراً .

ولَيتك تسلم من ألسنتهم ، بل يرمونك بشتائمهم وسبابهم ، ويسلقونك بألسنتهم ، وقد بلوت ذلك منهم عندما أخرجت كتابي أضواء علىٰ السنّة المحمّدية الذي أرّخت فيه الحديث ، وكشفت كيف روي ، وما شاب رواياته من الموضوعات ، ومتىٰ دوّن ، وما إلىٰ ذلك ممّا يجب بيانه . فإنّهم ما كادوا يقرأونه حتّىٰ هَبّت عليّ أعاصير الشتائم والسباب من كلّ ناحية ، من مصر والحجاز والشام! فلم أبال كلّ ذلك بل استعذبته لأنّي علىٰ سبيل الحقّ أسير ؛ فلا يهمّني شيء يلاقيني في هذا السبيل مهما كان .

ومن عجيب أمر هؤلاء الذين يقفون في سبيل الحقّ حتّىٰ لايظهر ، ويمنعون ضوء العلم الصحيح أن يبدو ، أنّهم لا يعلمون مقدار ما يجنون من وراء جمودهم ، وأنّ ضرر هذا الجمود لا يقف عند الجناية علىٰ العلم والدين فحسب ؛ بل يمتدّ إلىٰ ما وراء ذلك .

فإنّ الناشئين من المسلمين وغير المسلمين الذين بلغوا بدراستهم الجامعية العلمية إلىٰ أنّهم لا يفهمون إلّا بعقولهم ، وما وصلوا إليه بعلمهم ، قد انصرفوا عن الإسلام لمّا بدا لهم علىٰ هذه الصورة المشوّهة التي عرضها هؤلاء الشيوخ عليهم .

من أجل ذلك كلّه كان من الواجب الحتم علىٰ العلماء المحقّقين الذين حرّروا أعناقهم من أغلال التقليد ، وعقولهم من رِقّ التعبُّد للسلف ، أن يشمّروا عن سواعد الجدّ ، ويتناولوا تاريخنا بالتمحيص ، وأن يخلّصوه من شوائب الباطل والعصبيّات ، ولا يخشون في ذلك لومة لائم .

وإنّي ليسرُّني كلُّ السرور أن أشيد بفضل عالم محقّق كبير من علماء العراق قد

نهض ليؤدّي ما عليه نحو الدين والعلم فأخرج للناس كتباً نفيسة كانت كالمرآة الصافية التي يرىٰ فيها المسلمون وغير المسلمين تاريخ الإسلام علىٰ أجمل صوره في أوّل أدواره ، ذلكم هو الأستاذ (مرتضىٰ العسكري) فقد أخرج لنا ـ مِن قَبْل ـ كتاب (عبدالله بن سبأ) أثبت فيه بالأدلّة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، أنّ هذا الإسم لم يكن له وجود ، وأنّ السياسة (لعنها الله) هي التي ابتدعت هذا الإسم لتجعله من أسباب تشويه وجه التاريخ ، وبيّن أنّ شيخ المؤرّخين في نظر العلماء وهو الطبري قد جعل جلّ اعتماده في تاريخه وروايات علىٰ رجل أجمع الناس علىٰ تكذيبه . ومن الغريب أنّ جميع المؤرّخين الذين جاؤوا بعد الطبري قد نقلوا عن ابن جرير كلّ رواياته بغير تمحيص ولا نقد ، وهذا الرجل الكذّاب هو : سيف ابن عمر التيمي .

وأردف العلّامة مؤلّف هذا الكتاب النفيس بكتاب آخر أكثر منه نفاسة هو كتاب (أحاديث عائشة) وقد تناول في هذا الكتاب تاريخ هذه السيّدة لا كما جاء من ناحية السياسة والهوىٰ والعصبية ، ولكنّ من أفق الحقيقة التي لا ريب فيها ، وكتبه بقلم نزيه يرعىٰ حرمة العلم وحقّ الدين . لا يخشىٰ في الله لومة لائم .

أشار الأستاذ في تمهيده لكتابه إلىٰ ما في الأحاديث التي نسبت إلىٰ النبيّ(ص) من اختلاف بين حديث وآخر ، وبين بعض تلك الأحاديث ، وآي من القرآن الكريم ممّا كان مثار الطعن والنقد إلىٰ النبيّ من أعداء الإسلام .

ثمّ بيّن أنّ هذه الأحاديث إن هي إلّا مجموعات مختلفة رويت عن رواة مختلفين ، وعلىٰ الباحث العالم النزيه أن يقوم بتصنيفها نسبة إلىٰ رواتها . . . ثمّ يدرّس أحاديث كلّ منهم علىٰ حدة ، وبخاصّة أحاديث الرواة المكثرين أمثال : عائشة ، وأبي هريرة ، وأنس ، وابن عمر ، مع دراسة حياة راويها ، وبيئته وظروفه ، ثمّ مضىٰ يقول :

إنّ التاريخ الإسلامي منذ بعثة الرسول حتّىٰ بيعة يزيد بن معاوية لا يفهم [فهماً] صحيحاً إلّا بعد دراسة أحاديث أُمّ المؤمنين دراسةً موضوعيةً .

ولأنّ الأستاذ المؤلّف بصدد البحث عن التاريخ الإسلامي في دوره الأوّل فقد قدّم هذه الدراسة علىٰ غيرها من الدراسات .

وبعد أن بيّن صعوبة هذه الدراسة لما يجد في سبيلها من عقبات متعدّدة أخذ في

موضوع دراسته فبيَّن نسب عائشة ، ومولدها ، وتزوّجها من النبيّ(ص) وما صنعته معه (كامرأة) ـ كما قال شوقي ـ من مكر وكيد (إنَّ كَيْدَهُنَّ عَظِيْمٌ) .

وإنّها قد أقامت مع النبيّ نيّفاً وثمانية أعوام ، ثمَّ أخذ يذكر أنّها كانت تؤيّد خلفاء النبيّ : أبا بكر وعمر وعثمان في أوّل خلافته ، ثمَّ انحرافها عنه وترأسها للمعارضة له حتّىٰ بلغ من أمرها أنّها كانت تحرّض علىٰ قتله ، وما أن قتل هذا الخليفة بسبب خروجه عن نهج سابقيه ، وتركه الأمر لقومه يتصرّفون فيه بأهوائهم ؛ حتّىٰ (برزت) تُعارِضُ عليّاً معارضةً شديدةً لم يلق مثلها من غيرها ، وكان أوّل شيء بدا منها لهذا الإمام العظيم أنّها ما كادت تعلم بنبأ بيعته حتّىٰ ثارت ثائرتها وصاحت : لا يمكن أن يتمّ ذلك! ولو انطبقت هذه علىٰ هذه ـ أي السماء علىٰ الأرض ـ وما لبثت أن ألَّبت عليه طلحة والزبير وقادوا جميعاً الجيوش الجرّارة لمحاربة عليّ (رضي الله عنه) في وقعة الجمل وكانت تركب جملاً من المدينة إلىٰ البصرة ، وبعد أن انتهت هذه المعركة بسفك الدماء المحترمة ، وبقتل طلحة ؛ أعادها عليّ (رضي الله عنه) إلىٰ المدينة مكرّمةً لم ينلها سوء ، ولكنّها لم تحفظ له هذا الجميل ، ولم ترجع عن غيّها ، وظلّت ضدّه بكلّ وسيلة وكان من ذلك أن كانت تؤيّد معاوية في حروبه ضدَّ عليّ (رضي الله عنه) ولم تهدأ ثائرتها حتّىٰ قُتِلَ عليٌّ ، فقرّت عينها ، وهدأت نفسها ، وتمثّلت عند قتله بقول الشاعر :

فألقت عصاها واستقرَّ بها النّوىٰ ... كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

وقد كان ذلك بسبب ضغنها لعليّ (رضي الله عنه) ، وما يكنّه صدرها له لأنّه زوج فاطمة بنت خديجة ، وما كان لموقفه من حديث الإفك ممّا بيّنه شاعر الإسلام الكبير أحمد شوقي بأحسن بيان فقال يخاطب عليّاً (رضي الله عنه) بقوله :

ياجبلاً تأبىٰ الجبال ما حمل ... ماذا رمت عليك ربّة الجمل
أثأر عثمان الذي شجاها ... أم غصّة لم ينتزع شجاها
ذلك فتق لم يكن بالبال ... كيد النساء موهن الجبال
وإنّ أمّ المؤمنين لامرأة ... وإنّ تَك الطّاهرةَ المبرّأة
أخرجها من كنّها وسنّها ... مالم يزل طول المدىٰ من ضغنها... الخ

العسكري في مفتتح كتابه يقول فيها:

«إنّه يجب علىٰ كلّ من يريد أن يقف علىٰ حقيقة الإسلام في مستهلّ

هذا بعض ما قاله شاعر الإسلام في عليّ (رضي الله عنه)، وما رمته به عائشة، وقد خاطبها عليّ (رضي الله عنه) في كتاب أرسله إليها وإلىٰ طلحة والزبير أثناء وقعة الجمل، لو أنّها عقلته وتدبّرته لاشتدّ ندمها ولاستغفرت الله ممّا أجترحت وإن كان الظنّ أنّ الله لا يغفر لها.

قال (رضي الله عنه):

وَأمّا أنت يا عائشة فإنّك خرجت من بيتك عاصيةً للّه ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثمّ تزعمين أنّك تريدين الإصلاح بين المسلمين فخبّريني ما للنساء وَقَوْد الجيوش؟ والبروز للرجال؟ والوقوع بين أهل القبلة، وسفك الدماء المحترمة؟ ثمّ إنّك علىٰ زعمك طلبت دم عثمان، وما أنت وذاك؟ وعثمان رجل من بني أميّة وأنت من تيم؟ ثمّ إنّك بالأمس تقولين في ملاءٍ من أصحاب رسول الله: اقتلوا نعثلاً فقد كفر! ثمّ تطلبين اليوم بدمه! فاتّقي الله وارجعي إلىٰ بيتك وأسبلي عليك سترك والسلام.

هذه لمعة خاطفة ممّا حواه كتاب (أحاديث عائشة) ولو نحن ذهبنا نبيّن ما فصّله هذا العالم المحقّق في كتابه هذا ممّا أوفىٰ به علىٰ الغاية، ولم نر مثله من قبل لغيره؛ لاحتجنا إلىٰ كتاب برأسه...

وإذا كان لابدّ من كلمة نختم بها قولنا هذا الموجز فإنّا نقول مخلصين: إنّه يجب علىٰ كلّ من يريد أن يقف علىٰ حقيقة الإسلام في مستهلّ تاريخه إلىٰ بيعة يزيد فليقرأ كتابَيْ هذا العلّامة: (عبدالله بن سبأ، وأحاديث عائشة) وليتدبّر ما جاء فيهما، فإنّ فيهما القول الفصل.

أمّا ما نرجوه من العلّامة مؤلّفهما فهو أن يغذّ السير في هذا الطريق الذي اختطّه حتّىٰ يتمّ ما أخذ نفسه به. والله ندعو أن يكتب له التوفيق، والسداد في عمله، إنّه سميع الدعاء.

محمود أبو ريّة

القاهرة: عن جيزة الفسطاط ليلة الجمعة

١٨ رمضان المبارك ١٣٨١ هـ ـ الموافق ٢٣ فبراير ١٩٦٢ م

تاريخه إلىٰ بيعة يزيد فليقرأ كتابَيْ هذا العلّامة: **عبدالله بن سبأ**، **وأحاديث عائشة** وليتدبّر ما جاء فيهما، فإنّ فيهما القول الفصل».

ـ أورد الأستاذ أبو ريّة رسالة من جواب طويل بعثه الأستاذ العسكري إليه بعد أن قرأ كتاب الأضواء في طبعته الأولىٰ لتبيين عقيدة الشيعة الإمامية حول أحاديث المهدي، ثمّ طبع تقريظ العلّامة العسكري في ختام كتابه الأضواء في طبعته الثانية وما بعدها[١].

ـ أبو هريرة للسيّد شرف الدين العاملي:

وصفه بأنّه «من الكتب القيّمة للعلّامة الكبير السيّد شرف الدين»[٢].

ـ النصّ والاجتهاد للسيّد شرف الدين أيضاً:

وقد مرّ ذلك آنفاً.

ـ الفصوص المهمّة للسيّد شرف الدين:

ذكر كلام عن سبب عدم رواية البخاري عن آل البيت عليهم السلام ووصفه بـ: «كلمة قيّمة».

ـ المراجعات للسيّد شرف الدين:

يشير الأستاذ إلىٰ روايات مختلفة في حديث الثقلين بين «عترتي» و«سنتي» ثمّ يقول:

«وإذا أردت الوقوف علىٰ هذه الروايات فارجع إلىٰ كتاب **المراجعات**

---

(١) أضواء الطبعة الثانية.

(٢) شيخ المضيرة: ٢١٢.

التي جرت بين العلّامة شرف الدين الموسوي رحمه الله وبين الأستاذ الكبير الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر (سابقاً) في الصفحات من ٢٠ وما بعدها من الطبعة الرابعة»[١][٢].

ـ الشيعة وفنون الإسلام للسيّد حسن الصدر:

ينقل عنه كلمة في تاريخ تدوين الحديث عند الشيعة.

ـ المطالعات والمراجعات والردود للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء.

ـ أصل الشيعة وأصولها للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء أيضاً:

في مرويّات أبي هريرة وأمثالهم عند الشيعة «فليس له عند الإمامية من الاعتبار مقدار بعوضة»[٣].

---

(١) قال السيّد شرف الدين في ذلك:

«... [الأحاديث] الصحاح الحاكمة بوجوب التمسّك بالثقلين متواترة، وطرقها عن بضع وعشرين صحابياً متضافرة وقد صدع بها رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم في مواقف له شتّىٰ، تارة يوم غدير خم كما سمعت، وتارة يوم عرفة في حجّة الوداع، وتارة بعد انصرافه من الطائف، ومرّة علىٰ منبره في المدينة، وأخرىٰ في حجرته المباركة في مرضه، والحجرة غاصّة بأصحابه... وقد اعترف بذلك جماعة من أعلام الجمهور، حتّىٰ قال ابن حجر ـ إذ أورد حديث الثقلين ـ: «ثمّ اعلم لحديث التمسّك بهما طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً»... ما أظنّ في لغات البشر كلّها أدلّ من هذا الحديث علىٰ ذلك. إلىٰ آخر كلامه فإنّه كلام قيّم في بابه». راجع (المراجعات: مراجعة ٨).

(٢) أضواء: ٤٠٥.

(٣) أضواء: ٣٧٧.

ـ أمالي الشريف المرتضىٰ :

ينقل عنه حول مرويّات معاوية : سمع الأحنف رجلاً يقول : ما أحلمَ معاوية! فقال : لو كان حليماً ما سَفَّهَ الحَقَّ [١] .

ـ تاريخ القرآن للسيّد عبد الله الزنجاني .

ـ الصراط المستقيم للبياضي العاملي .

ـ النصائح الكافية لابن عقيل الحضرمي العلوي .

ـ الغدير للعلّامة الأميني ... وقد مرّ ذكره في رسالة إلىٰ السيّد الرضوي .

ـ البيان للشيخ الطوسي ... وقد مرّ ذكره آنفاً .

تأليفاته :

١ ـ رسائل الرافعي (أو من رسائل الرافعي):

التي بعث بها نابغة الأدب وحجّة العرب مصطفىٰ صادق الرافعي إلىٰ صديقه محمود أبو ريّة .

قال أبو ريّة في ذلك : «لقد كنت أرجع إليه في كلّ أمر يتّصل بالأدب وأستفتيه في أموره صغيرها وكبيرها ، وقد أسأله عن الشيء وأنا أعرفه وذلك لأستحثّ من همّته وابتعث من عزيمته وكنت أتّخذ في ذلك وسائل كثيرة لكي ينهمر ودق قريحته ويجود سحاب طبعه ، وكنت ألحّ في ذلك إلحاحا

---

(١) وفي البيان والتبيين للجاحظ : ولا قائلَ عَلِيّاً .

شديداً حتّىٰ لقد كان يدركه أحياناً ما يشبه الغضب ينضح به قلمه .... طالما وددت تحقيقها من قبل لو لا ما رمتني به الأقدار من مصائب فادحة في أولادي ومصاعب متلاحقة في حياتي[١] حتّىٰ أصبحت ممزّق القلب مشرّد اللبِّ لا أكاد أحسن عملاً أتولّاه ولا أجيد أمراً أقوم به»[٢].

هذه الرسائل تفصح عن دخائل نفس الرافعي وتميط اللثام عن حقيقة تاريخ منازعاته مع بعض العلماء المعاصرين كالعقّاد والدكتور طٰه حسين وغيرهم حول القرآن والبلاغة والشعر والأدب، وهي تحمل في طيّاتها آراء قيّمة للرافعي وفي بعضها يظهر السبب الباعث علىٰ تأليف كلّ كتاب من كتبه **كتاريخ أدب العرب** أو كتاب **في حياة محمّدﷺ** **وكشف الغطاء عن بعض أسرار الإعجاز في كثير من آيات القرآن**، ولا نستطيع أن نستوفي هنا كلّ ما حملت من فوائد وما اشتملت عليه من أغراض، هذا غير ما يتجلّىٰ فيها من أسلوبه في كتابة رسائله الخاصّة التي لا ينالها تهذيب أو يصيبها تنقيح.

٢ ـ دين الله الواحد علىٰ ألسنة جميع الرسل؛ محمّد والمسيح أخوان.

اتّخذ أبو ريّة هذا العنوان من كلام الشيخ محمّد عبده في **رسالة**

---

(١) هذه الحادثة التي أشار إليها أبو ريّة تجدها في مقدّمة كتابه (أضواء) هي وفاة ولده مصطفىٰ صادق في رمضان سنة ١٣٥٤هـ ووفاة زوجته في السنة اللاحقة حزناً علىٰ ولدها.

(٢) رسائل الرافعي: المتقدّمة.

التوحيد حيث قال: «صرّح الإسلام تصريحاً لا يحتمل الريبة بأنّ دين الله في جميع الأزمان وعلىٰ ألسن جميع الأنبياء واحد قال الله تعالىٰ: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**﴾[١] ... أي مثاله في جنسه وموضوعه والغرض منه أنّهم يصدرون عن نبع واحد»[٢].

قال في بواعث تأليف الكتاب:

«وقد استخرت الله في أن أنشر هذه الرسالة الموجزة لأبيّن لأخوتي المخلصين من أهل الأديان أجمعين، أنّ دين الله علىٰ ألسنة رسله ـ كما قرأناه في كتبهم ـ واحد وصادر من إله واحد، أراد به سبحانه وتعالىٰ هداية خلقه علىٰ اختلاف أجناسهم وألوانهم في كلّ زمان ومكان، معتمداً في ذلك علىٰ أقوىٰ الأدلّة التي يرضىٰ عنها العلماء المخلصون من صحيح النقل وصريح العقل».

افتتح الأستاذ كتابه بحديث الرسولﷺ (الأنبياء إخوةٌ لعلّات[٣]؛ أمهاتهم شتّىٰ ودينهم واحد)، ثمّ يأتي بأدلّة ويقول: «إنّما كان دين جميع الأنبياء واحداً في التوحيد وروح العبادة وتزكية النفس بالأعمال التي تقوّم الملكات وتهذيب الأخلاق، قال تعالىٰ:

---

(١) سورة النساء: ١٦٣.

(٢) دين الله الواحد: المقدّمة.

(٣) وفي رواية أولاد علاّت: قد فسّروا العلّات بالضرائر وأصله أنّ من تزوّج امرأة ثمّ تزوّج عليها أخرىٰ كأنّه علعل منها فالعلل الشرب بعد الشرب. وبنو العلّات هم أولاد الرجل من نسوة شتّىٰ.

﴿لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُون * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَأُولئِكَ مِنَ الصَّالِحين * وَما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ[1] وَاللهُ عَلِيْمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[2].

هذه الآية من العدل الإلٰهي في بيان حقيقة الواقع وإزالة الإبهام، وهي دليل علىٰ أنّ دين الله واحد علىٰ ألسنة جميع الأنبياء، وأنّ كلّ من أخذه بإذعان وعمل فيه بإخلاص فأمر بالمعروف ونهىٰ عن المنكر فهو من الصالحين.

يقول الأستاذ الشيخ محمّد عبده في تفسير هذه الآية:

* وَما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ * أي فلن يضيع ثوابه كما يكفر الشيء أن يستر حتّىٰ كأنّه غير موجود وقال الزمخشري إنّ (كفر) عُدِّيَ هنا إلىٰ مفعولين لتضمينه معنىٰ الحرمان فالمعنىٰ لن يُحرموا جزاءه. * وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * وإنّما يجزي العاملين بحسب ما يعلم من أمرهم وما تنطوي عليه نفوسهم من نيّاتهم وسرائرهم فمن آمن إيماناً صحيحاً واتّقىٰ ما يفسد عليه ثمرات إيمانه فأولئك هم الفائزون فلا عبرة بجنسيّات الأديان وإنّما العبرة بالتقوىٰ مع الإيمان»[3].

---

(١) فلن يضيع ولا ينقص ثوابه. (تفسير الصافي)

(٢) آل عمران: ١١٣ ـ ١١٥.

(٣) دين الله الواحد: المقدّمة.

دين الله واحد

على ألسنة جميع الرسل

محمد والمسيح أخوان

« إن هذه أمتكم ، أمة واحدة
وأنا ربكم فاعبدون »
(قرآن كريم)

تأليف

محمود أبو رية

الشامخ
دار الكرنك
للنشر والطبع والتوزيع
عمارة رشيد ، ميدان رشيد (دار الحديث) القاهرة

٣ ـ تحقيق الرد علىٰ الدهريّين للسيّد جمال الدين الأفغاني :

طبع في القاهرة ، دار الكرنك ، بدون تاريخ ، مع تقديم صلاح الدين السلجوقي ، في ١٠٦ صفحة .

٤ ـ تحقيق رسالة التوحيد للأستاذ الشيخ محمّد عبده :

طبع في القاهرة ، دار المعارف ، سنة (١٩٧١ ميلادي) في ٢٠٠ صفحة .

٥ ـ المختار من كتاب الصناعتين ، في الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري (متوفّىٰ ٣٩٥ قمري)باختيار محمود أبو ريّة :

طبع هذا الكتاب بمراجعة عبّاس حسّان الخضر في القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، في ٢٣٢ صفحة .

٦ ـ شيخ المضيرة[1] أبو هريرة :

يقول في ذلك : «وإنّا بعد ذلك نمضي فيما أخذنا علىٰ أنفسنا أن نقوم به من ترجمة أبي هريرة الذي أفردناه دون الصحابة جميعاً بالتأريخ لأنّه كان أكثرهم تحديثاً عن النبيّ ، علىٰ حين أنّه لم يصاحبه صلوات الله عليه إلّا عاماً وبعض عام ، ونفذت رواياته إلىٰ عقائد المسلمين وأحكامهم وغير ذلك علىٰ ما فيها من خرافات وشبهات ومشكلات كانت مبعث ضيق لصدر المسلمين ، وانتقاداً علىٰ الدين الإسلامي من غير المسلمين!

---

(١) ثبت عنوان (شيخ المغيرة) علىٰ غلاف بعض الطبعات وهو غلط : أنظر مقدّمة الأستاذ علىٰ الكتاب في توضيح كلمة المضيرة وهو من أفخر أطعمة معاوية وأطايب الأطعمة عند أبي هريرة .

ترجمه محمّد وحيد الگلپايگاني بالفارسية في حياة المؤلّف بعنوان (**بازرگان حديث**)[١] بإشراف السيّد رضا الصدر رحمة الله عليه وتمّ طبعه في طهران ـ مكتبة محمّدي ١٣٨٣ هجري.

وكانت هناك ردود علىٰ الكتاب ومنها :

* **أبو هريرة وأقلام الحاقدين**، عبدالرحمٰن عبدالله الزرعي، الكويت، دار الأرقم، ١٤٠٥هـ، ١٠٨ صفحة.

* **أبو هريرة راوية الإسلام**، عبد العجاج الخطيب، القاهرة، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ٣٥١ صفحة؛ وقد كتب الشيخ عبد الله السبيتي **أبو هريرة في التيّار** ردّاً علىٰ العجاج الذي ألّف كتابه في الردّ علىٰ أبي ريّة والسيّد شرف الدين رحمة الله عليهما.

* **البرهان في تبرئة أبي هريرة من البهتان**، عبد الله عبد العزيز بن علي ناصر، مصر، دار النصر، ١٤١٩هـ، في ٣٥٦ صفحة واختصره في ٢٠٠ صفحة تحت عنوان **مختصر البرهان** بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ.

* **السنّة ومكانتها في التشريع** لمصطفىٰ السباعي فصل أبي هريرة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٦هـ، ٤٨٨ صفحة.

* **أبو هريرة راوية الإسلام وسيّد الحفّاظ الثبات**، عبد الستّار الشيخ، دمشق، دار القلم، ١٤٢٤ هـ، ٧٠٠ صفحة.

* **دفاع عن أبي هريرة**، عبد المنعم صالح العلي العزّي، دار القلم، ١٩٨١ ميلادي، ٥١٥ صفحة.

---

(١) أي (تاجر الحديث).

شيخ المضيرة

أبو هريرة

«أول راوية أتهم في الإسلام»
ابن قتيبة

تأليف
محمود أبو رية

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص. ب. : ٧١٢٠

٧ ـ صيحة جمال الدين الأفغاني التي بَعثت الشرق من سباتهِ وبصّرته بحقوقه وواجباته ليحيا حياة كريمة : دار الهنا للطباعة ، ٢٤٤ صفحة .

وقد تُرجم إلىٰ الفارسية تحت عنوان (**نداي سيّد جمال الدين أفغاني**) ، كابل ، بيهقي ، ١٣٥٥هـ ، ترجمة : محمّد گلاب بشّار ، وتُرجم إلىٰ البشتو تحت عنوان (د افغان سيّد جمال الدين د ژوند لند تاريخ اوسياسي هانداوهخي ، زندگي مختصر سيّد جمال الدين افغان وتلاش هاي سياسي او) ، ترجمة : ثمنا رضوان قل ، مؤسّسة كتاب چاپولو ، ٢٤١ صفحة .

٨ ـ جمال الدين الأفغاني تاريخه ورسالته : القاهرة ؛ دار المعارف (نوابغ الفكر العربي) ، الطبعة الثانية ، منقّحة ومعدّلة ؛ ١٩٧١م ، ١٢٣ صفحة .

وقد تُرجم إلىٰ الفارسية تحت عنوان (**مبارزه سيّد جمال الدين افغان**) ، ترجمة : غلام صفدر پنجشيري ومحمّد حسين راضي ، كابل ، وزارت دار التآليف رياست ، ١٣٤١ هـ ـ ١٦٥صفحة .

٩ ـ أضواء علىٰ السنّة المحمدية أو دفاع عن الحديث :

في رمضان من عام (١٣٦٤هـ) أغسطس (١٩٤٥م) ، نشر الأستاذ محمود أبو ريّة مقالاً في مجلّة **الرسالة** العدد (٦٣٣) تحت عنوان (**الحديث المحمدي**) ضمّنه آراءه في بعض مباحث الحديث وذكر أنّها خلاصة كتاب سينشر ، ثمّ في عام (١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م) طبع الكتاب تحت عنوان (**أضواء علىٰ السنّة المحمدية**) وقد أحدث ضجّة في المجامع الدينية وخاصّة

في المعاهد الأزهرية، وقد استغرقت مدّة تأليفه خمسة عشرة سنة حتّىٰ ظهر الكتاب في حلّته القشيبة، وقد توالت عليه الانتقادات والردود بعد أن مضىٰ علىٰ ظهور **الأضواء** حوالي عشرة أعوام! إذ إنّ تاريخ صدوره كان في سنة (١٩٥٨م) وقد طبع كتيّب الأزهريّين في الردّ عليه في سنة (١٩٦٧م) أي بعد تسع سنين من طباعة الكتاب! فأين كان شيوخ الأزهر بعد كلّ هذه المدّة من نقد الكتاب؟ وما سبب قيامهم بالنقد بعد انقضاء هذا الزمن الطويل[1]؟

هذا وبعد مرور هذه الفترة الزمنية فقد ردّ عليه من الأزهريّين وغيرهم من الشام والحجاز ومصر من الذين يزعمون أنّهم علىٰ شيء من الحديث والتاريخ، حتّىٰ وصلت الردود عليه ما يقارب العشرين كتاباً ومائة مقالة في نقد المؤلّف وكتابه.

ومن المؤسف والمدهش أنّك لم تجد في أيٍّ من هذه الكتب والمقالات ـ علىٰ كثرتها ـ دراسة قيّمة ولا نقداً موضوعيّاً يقوم علىٰ المنهج العلمي الحديث، الذي يظهر حقّاً، أو يصحّح خطأً، أو يعدّل رأياً، وكلّ ما فيها أنّها واجهت المؤلّف بكلّ جارحة وعوراء من القول الرديء وقد بلغت من الرداءة والدناءة حدّاً حتّىٰ قال فيها البعض من الأفضل أن تسمّىٰ بقاموس الشتائم كما مرّ آنفاً.

---

(١) وممّا يقتضي العجب أنّه لم يصادر كتابه ولم يفت أحد بتكفير المؤلّف كما هو دأب الأزهر وشيوخه. هذه شنشنة أعرفها من أخزم ولا ينبئك مثل خبير.

ومن الممكن أن تكون هذه الكتب سائغة عند البعض ولكن مع مرور الزمن نراها قد أصبحت اليوم منسيّةً ومتروكةً لا يركن إليها إلّا جاهل لا يعرف من أصول العلم والنقد شيئاً[1] ؛ لأنّ النقد قبل كلّ شيء إنّما يقوم علىٰ عفّة اللسان وأدب الكلام ثمّ علىٰ أصول ثابتة من العلم والعقل والمنطق حتّىٰ يقع النقد موقع القبول ويؤثر في القلوب والعقول ، ومن الطبيعي إذا كتب المنتقد نقداً هزيلاً فإنّه حينئذٍ يزيد من قيمة الكتاب الذي ينتقده ويعلو من شأنه ويرغّب الناس إلىٰ قرائته .

قالت الدكتورة بنت الشاطي في مقالتها ردّاً علىٰ الشيخ السباعي في نقده اللاذع علىٰ الأضواء :

«إنّ الذي أومن به أنّ أسلوب القذف والسباب تأباه الخصومة الفكرية التي لا تجيز غير سلاح الفكرة والمنطق والدليل ، ثمّ هو لا يغني عن الحقّ شيئاً ، بل لعلّه أجدر بأن يضعّف مركزنا بما يثير من نفور القارئ الواعي وما يُلقىٰ في روعه من وهن مركزنا ، بحيث لا نملك إلّا أن نستعين علىٰ خصومنا بالشتائم واللعنات . . .» .

قبل أن نختم الكلام وقفنا علىٰ كلمة للأستاذ محمّد عبدالله عنان في تعريفه لكتاب **السنّة ومكانتها في التشريع** للسباعي ، قال رَحِمَهُ الله بعد ذكر

---

(١) كما تحقّق ذلك في ردود الكتاب ، علىٰ أنّ الأضواء قد بلغت طبعاته المئات ومن دور نشر مختلفة في العراق والحجاز وإيران ولم تطبع كتب الردود عليه غير الطبعة الأولىٰ . وصدق أبو ريّة في ذلك حيث قال : سيبقىٰ هذا الكتاب ـ إن شاء الله ـ منارة عالية تهدي إلىٰ معالم تاريخ الحديث المحمّدي علىٰ مدّ التاريخ كلّه ما دام هذا الحديث يقرأ أويدرس بين الناس في الأرض .

أبواب الكتاب :

«لنا ملاحظتان :

إحداهما : إنّ المؤلّف حين ترجم لأصحاب كتب الحديث ، كانت ترجمته غاية في الإيجاز ، وما كنّا نطلب إسهاباً في دراسة شخصياتهم بقدر ما كنّا بحاجة إلىٰ توسّع في دراسة كتبهم .

وأمّا الملاحظة الأخرىٰ ، فهي تتعلق بردّه علىٰ الشيخ [أبو ريّة] إساءة الظنّ به ، وهذا ما لم نكن نتوقّعه من عالم يملك علماً وحجّة ومنطقاً ، فالشيخ أبو ريّة قال في إهدائه الكتاب لابنه : (ما قصدت بتأليفه إلّا وجه الحقّ) . وابنه في جوار الحقّ ، كما ختم [أبو ريّة] بحثه بقوله : (وما دام عملنا قد جعلناه خالصاً لوجه الله تعالىٰ فإنّا لا نطلب عليه من غيره أجراً . .)[١] وهذا يكفيك لحسن نيّة الشيخ أبي ريّة[٢] ، والله وحده يتولّىٰ السرائر . . .»[٣] .

---

(١) قال في مفتتح الكتاب مخاطباً ولده مصطفىٰ صادق ـ الذي سمّاه بهذا الاسم تيمّنا وتبرّكاً باسم حجّة العرب مصطفىٰ صادق الرافعي ـ : فإليك يا ولدي العزيز أهدي هذا الكتاب الذي ما قصدت بتأليفه إلّا وجه الحقّ الذي فطرك الله عليه ، وكنت دائماً تؤثره وتسكن إليه ، وخدمة العلم الذي أخلصت له نفسك ، وأفنيت فيه عمرك ، وجاهدت حقّ الجهاد في تحصيله ، وقضيت نحبك في سبيله .

(٢) إنّ كتابي هذا إنّما وضعته في الحقيقة ليكون دفاعاً عن الحديث المحمّدي ممّا ناله بفعل أعدائه وأوليائه علىٰ السواء ، وما بذلت ما بذلت من جهد ونصب سنين طويلة في سبيل تأليفه إلّا من أجل هذه الغاية البعيدة وعلىٰ ذلك أصبح الأمر بيني وبين الأزهر قضية تحتاج إلىٰ تحكيم قضاة عادلين ، ليقضوا فيها بحكمهم النزيه . (شيخ المضيرة : ٣١) .

(٣) مجلّة الأزهر العدد ٢٠٤ محرّم ١٣٨١هـ .

وقد بلغ ما صدر في نقد كتاب **أضواء علىٰ السنّة المحمّدية** ما يقارب من العشرين كتاباً، في مصر والحجاز والشام وغيرها، هذا عدا المقالات في المجلّات التي تتّجر بالدين في بلاد المسلمين؛ وإليك قائمة بأسماء بعضها:

ـ **السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، للشيخ مصطفىٰ السباعي من أعضاء إخوان المسلمين.

ـ **السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، للشيخ عبد الحكيم محمود رئيس جامع الأزهر سابقاً.

ـ **أخطاء وأوهام في أضخم مشروع تعسّفي لهدم السنّة النبوية**، لعبد العظيم إبراهيم محمّد المطعني.

ـ **دفاع عن السنّة وردّ شبه المستشرقين والكتّاب المعاصرين**: للشيخ محمّد أبو شهبة.

ـ **ظلمات أبي ريّة أمام أضواء السنّة المحمدية**، للشيخ عبدالرزاق حمزة.

ـ **الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء علىٰ السنّة من الزلل والتضليل والمجازفة**، للشيخ عبد الرحمٰن بن يحيىٰ المعلمي اليماني.

ـ **نقد كتاب أضواء علىٰ السنّة المحمدية**، للشيخ أبي شهبة، مجلّة الأزهر، محرّم سنة (١٣٧٨هـ) شعبان (١٣٧٨هـ) في سبعة أعداد من المجلّة.

وقد ترجم الكتاب بالفارسية وبالانجليزي والأُردية:

Lights on the Muhammadan Sunnah or defence of، the hadith

Translated by Hassan M. Najafi. 1999 A.D

ـ **حديث سي دفاع** (الأردية)؛ ترجمة: نثار أحمد زين پوري، ١٤١٩ قمري.

ـ **رويكردي نو به سنّت پيامبر** (الفارسية)؛ ترجمة: ولي الله حسومي، ١٤٢٩ قمري.

ـ **سنّت محمّدي(ص) در گذر تاريخ** (الفارسية) ترجمة محمّد سيّد موسوي، ١٤٢٩ قمري.

وقد طبع الأستاذ أبو ريّة تقاريظ العلماء في الطبعة الثانية من كتابه ثمّ حذفها في طبعات أخرىٰ من الكتاب، ومنها:

ـ ما كتبه الأستاذ صدر الدين نجل العلّامة عبدالحسين شرف الدين في وصفه وعدّه «من أنفس ما أنتجته الدراسات الإسلامية الحديثة وأهداها فنّ الوصول إلىٰ الحقيقة».

ـ والأستاذ إسماعيل مظهر[1] كتب أنّه «ينبغي لكلّ مسلم أن يقرأ هذا الكتاب، ويطيل التأمّل في حقائقه ليعرف أين هو من دينه، دين العقل والمنطق وحرّية التفكير».

ـ والأستاذ نعمة الله السلجوقي ـ رئيس فخر المدارس بهرات (أفغانستان) ـ يقول: «كدت أجنّ طرباً لظهور مثل هذا الكتاب الذي يجب علىٰ كلّ مسلم شفيق علىٰ دينه أن يقتني نسخة منه».

---

(١) قال أبو ريّة: فقد قابلني ذات يوم في الطريق وقال لي هذه العبارة بنصّها (كتابك مجنّني).

محمود أبو رية

أضواء على السنة المحمدية

أو دفاع عن الحديث

الطبعة السادسة

دار المعارف

١٠ ـ السيّد البدوي :

جاء ذكر السيّد البدوي في كتاب **رسائل الرافعي** وفيه توسّل الرافعي إليه لشفاء آذانه .

ويبدو أنّ هذا الكتاب كتب في ترجمة السيّد أحمد البدوي (٥٩٦ ـ ٦٧٥ق) ـ وقد لُقّب بالبدوي لأنّه كان دائماً يغطّي وجهه باللّثام مثل أهل البادية ـ وكان أبو ريّة ينزعج كثيراً حين يشاهد المصريّين يحتفلون بمولده وينذرون له نذورات ويتوسّلون إليه .

قال أحمد صبحي منصور في كتاب **السيّد البدوي بين الحقيقة والخرافة** : كتب الشيخ أحمد حجاب (**العظة والاعتبار ـ آراء فى حياة السيّد البدوي الدنيوية وحياتة البرزخية**) وقد بيّن أنّ السبب في تأليفه هو الردّ على كتاب (**السيّد البدوي**) للأستاذ محمود أبو ريّة لأنّه أنكر فيه على البدوي تلقيبه بالسيّد .

١١ ـ حياة القرىٰ :

لم نعثر عليه ، عدّه الأستاذ الرضوي من مؤلّفات أبي ريّة .

وفاته :

توفّي ـ رحمه الله ـ في ١١ ديسمبر ١٩٧٠م[١] بالجيزة .

---

(١) الموافق ١٢ شوّال ١٣٩٠ هجري .

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾[١] .

ما كلام الأنام في الشمس إلّا .....أنّها الشمس ليس فيها كلام

ماذا يقول القائل عن العظيم إذا غاب وفارق الناس شخصه؟ إنّ غاية ما يبلغ إليه القائل وأقصىٰ ما يصل إليه الراثي هو أن يتحدّث عن أعماله وما أصاب الناس بفقده ويبيّن أن كان له خلف يعزّىٰ بعض العزاء علىٰ موته ، لقد مات عالم من علماء الإسلام .

كم مات قوم وما ماتت مكارمهم وكم عاش أقوام وهم في الناس أموات

استبصار أبي ريّة :

لم يكن ـ رَحِمه الله ـ ملتزماً بمذهب من المذاهب الأربعة وميزانه في ذلك العمل الصادق بكتاب الله وسنّة نبيّه ويقول فيه بالصراحة : «أنا أعلم من الشافعي وأبي حنيفة»[٢] ، حتّىٰ أنّه لمّا رأىٰ أنّ مترجم كتابه **شيخ المضيرة** إلىٰ الفارسية يذكر أنّه علّامة مبجّل من أهل السنّة كتب تعليقة وقال فيها :

«نشكر للسيّد المترجم المفضال ما أضفاه علينا بأدبه الكامل من ثناء طيّب وأوصاف لا نستحقّها ، ونذكر له وللناس جميعاً أنّنا لا نعرف شيئاً اسمه (أهل السنّة) ولا شيئاً آخر يقابلها من سائر الفرق أو المذاهب التي استحدثت

---

(١) الأحزاب: ٢٣.

(٢) مع رجال الفكر ج١ ص ١٣٥ .

بين المسلمين لتعريفهم، وبخاصّة فإنّ وصف (أهل السنّة) هذا لم يكن معروفاً قبل معاوية بن أبي سفيان، وقد استحدثوه في عهده في العام الذي وصفوه بأنّه (عام الجماعة) نفاقاً للسياسة لعنها الله، وما كان إلّا عام الفرقة، وأصرّح كذلك بأنّي وقد قضيت ما قضيت من عمري في الدرس والتحصيل ما زلت أطلب العلم ولا أعدّ نفسي من الذين يسمّيهم الناس علماء أولئك الذين يستغلّون لمآربهم الشخصية هذا اللقب عند الدهماء»[١].

قذف أبي ريّة بالتشيع والرفض:

لقد رمىٰ السباعي وغيره من الأزهريّين الشيخ الأستاذ بالتشيّع، وذلك لأنّ الشيخ الأستاذ تعامل مع التشيّع علىٰ وجه الإنصاف والاحترام، مضافاً إلىٰ احترامه الشديد لآل البيت عليهم السلام وإظهاره البغض لأعدائهم[٢]، وقد استمرّ بالنقل من كتب الشيعة والمكاتبة مع أعلامهم حتّىٰ قال بعض المصريّين: «أنّ أبا ريّة هو أوّل رافضيٍّ مصريٍّ في التاريخ، وهو من ورثة المعتزلة، وكذلك الشيخ محمّد عبده والأستاذ أحمد أمين».

وكان أبو ريّة يبغض أعداء آل البيت عليهم السلام وينعتهم بالنواصب، حيث نعت الشيخ محمّد عزّت دروزة والشيخ محبّ الدين[٣] الخطيب ومعروف

---

(١) شيخ المضيرة: هامش ١ ص٣٠٩.

(٢) مرّ آنفاً أمثلة علىٰ ذلك.

(٣) وصفه الأستاذ بأنّ هذا الاسم من أسماء الأضداد!

الدواليبي[١] بذلك مع أنّه كانت تربطه مع الخطيب صلة مودّة حميمة، حيث يظهر ذلك من خلال مقالاته في مجلّة **الزهراء والفتح** والتي كان رئيس تحريرها محبّ الدين الخطيب؛ ولكن وجود بعض الأسباب والتداعيات أدّت إلىٰ تكدّر العلاقات بينهما وانصرام حبل المودّة مدّة عشر سنين ومن تلك الأسباب والتداعيات هو التعصّب والجمود الديني في كتاب الخطيب **الخطوط العريضة التي قام عليها دين الشيعة الإمامية**، وتأسيس (المكتبة السلفية)، ونشر كتب أعداء الدين وأهل الهوىٰ من المسلمين كتحقيقه علىٰ كتاب **العواصم والقواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبيﷺ** لابن العربي[٢] المالكي الناصبي، وطبع تعليقات الشيخ بن باز وتأجيج نار التفرقة بين المسلمين[٣]، وقد استمرّت الخصومة بينهما حتّىٰ وافاه الأجل قبل وفاة

---

(١) وسمّاهم أيضاً في موضع آخر (حفدة الأمويّين)، وقال بعد التكلّم عن يزيد وابن زياد: في كلّ عصر نابتة سوء مبغضة عرفت بالنصب، وفي عصرنا هذا من هذه السلسلة قوم فضحوا أنفسهم بنصبهم.

(٢) هو غير (ابن عربي) العارف الشهير وصاحب الكتب المشهورة: (الفتوحات المكّية) و(فصوص الحكمة) و(ترجمان الأشواق).

(٣) كان الشيخ محبّ الدين الخطيب من المتعصّبين ضدّ فكرة التقريب بين المذاهب حيث قال: «انفضّ المسلمون جميعاً من حول دار التخريب التي كانت تسمّىٰ دار التقريب ومضىٰ عليها زمن طويل والرياح تصفر في غرفها الخالية تنعىٰ من استأجرها»، ثمّ يذكر أنّه لم يبق متعلّقاً بعضويتها إلّا بعض المنتفعين مادّيّاً في ولاء انتمائهم إلىٰ هذه الدار، وأنّ العلماء المخلصين من أهل السنّة انكشف لهم المستور من حقيقة دين الرافضة، ودعوة التقريب التي يريدها الرافضة، فانفضّوا عن الدار وعن

الأستاذ أبي ريّة بسنة .

وهناك بعض الأدلّة علىٰ تشيّع أبي ريّة ورجوعه عن عقيدته لأهل العامّة وذلك من خلال بعض ما اتّخذ من مواقف وآراء علمية في كتبه ، ونقول للمنصفين : هل هذه المواقف والآراء تدلّ علىٰ سوء نيّة وحقد وبغضاء ونفاق ، أم تدلّ علىٰ صفاء السريرة وحسن النيّة والإخلاص والمحبّة للنبيّ صلّىٰ الله عليه وآله والحرص علىٰ رسالته .

ومن الأدلّة علىٰ تشيّعه :

ما كتبه في كتبه من مقولات نستفيد منها ذلك :

١ ـ «الفاسق ملعون ، ومن نهىٰ عن لعن الملعون ملعون ، وزعمت نابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا أنّ سبّ ولاة السوء فتنة ولعن الجورة بدعة ... والنابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه ، وابن زياد وأبيه»[1] .

٢ ـ الطعن علىٰ السقيفة :

* «وإذا كانوا [أي العلماء] قد انتحلوا معاذير ليسوّغوا بها تخطّيهم [أي

الألاعيب التي يراد إشراكهم في تمثيلها» ، ثمّ يقول : «فلم يبق موضع عجب إلّا استمرار النشر الخادع في تلك المجلّة ولعلّ القائمين يضعون لها حدّاً» .

(١) شيخ المضيرة : ١٦٣ .

الصحابة] إيّاه في أمر خلافة أبي بكر فلم يسألوه عنها ولم يستشيروه فيها، فبأيّ شيء يعتذرون من عدم دعوته لأمر كتابة القرآن؟»[١].

* قال عبدالرحمن أحمد البكري نقلاً عن الأستاذ أبي ريّة من كتابه **عليّ وما لقيه من صحابة رسول الله**. (مخطوط):

«ذهب المستشرق لا منس إلىٰ أنّه كانت بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجرّاح مؤامرة في صرف الخلافة عن أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ فيقول:

(إنّ الحزب القرشي الذي يرأسه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة لم يكن وضعاً حاضراً ولا وليد مفاجأة أو ارتجال، وإنّما كان وليد مؤامرات سرّية مبرمة، حيكت أُصولها وربت أطرافها بكلّ عناية وإحكام، وأنّ أبطال هذه المؤامرة: أبو بكر، عمر بن الخطّاب، أبو عبيدة بن الجرّاح، ومن أنصار هذا الحزب: عائشة، وحفصة)»[٢].

٣ ـ الطعن علىٰ أبي بكر حول فدك:

* «أمّا مروان بن الحكم فقد اختصّ به واتّخذه لنفسه وزيراً ومشيراً وأمر له بمئة ألف، وكان قد زوّجه ابنته أمّ أبان ثمّ أقطعه فدك التي كانت ملكاً للنبيّ وكانت فاطمة رضي الله عنها طلبتها من أبي بكر فدفعت عنها بحديث

---

(١) أضواء: ٢٤٩.

(٢) من حياة الخليفة عمر: ١٨١.

أوردوه ونصّه كما قالوه: (لا نورث ما تركناه صدقة)»[١].

* وله كلمة قيّمة حول فدك أوردناها آنفاً في ثناء السيّد شرف الدين عليه معلّقاً علىٰ كلمته حول فدك في الهامش (ص١٦٩) من شيخ المضيرة.

٤ ـ الطعن علىٰ عمر:

* «وقفة قصيرة مع عمر:

ممّا يدعو إلىٰ الملاحظة هنا أنّنا لم نجد عمر رضي الله عنه قد اتّبع هذه السنّة مع معاوية بن أبي سفيان، فقد أبقاه عاملاً علىٰ دمشق سنين طويلة ولم يزعجه بالعزل كغيره، وكان ذلك ممّا أعان معاوية علىٰ طغيانه، وأن يحكم حكماً قيصريّاً طوال أيّامه، وبخاصّة بعد أن استولىٰ علىٰ الشام كلّه في عهد عثمان، ثمّ امتدّ هذا الطغيان الأموي إلىٰ ما بعد معاوية حتّىٰ تسلّم العباسيّون الحكم.

وأمر آخر يستوجب الملاحظة، ذلك أنّ عمر لم يكن هو الذي ولّىٰ معاوية علىٰ دمشق وإنّما الذي ولّاه هو أخوه يزيد بن أبي سفيان.

ذلك أنّه لمّا فتحت دمشق في عهد عمر أمّر عليها يزيد بن أبي سفيان، ولمّا احتضر يزيد ـ مات بالطاعون سنة ١٨ هـ ـ استعمل أخاه معاوية مكانه من غير أن يستشير عمر، وأقرّه عمر علىٰ ذلك.

---

(١) شيخ المضيرة: ١٦٩.

هذان أمران قد يستوجبان الملاحظة على موقف عمر من معاوية وبني أمية، ولم يأت لنا من أحد من المؤرّخين في ذلك بيان نسكن إليه.

فهل جعل عمر (دمشق) من نصيب بني أمية فأمّر عليها في أوّل الأمر يزيد بن أبي سفيان ثمّ رضي بأن يعهد يزيد هذا بالإمارة إلى أخيه معاوية بغير أن يرجع في ذلك إليه؟

وهل فعل عمر ذلك ليتألّف بني أمية وليتّقي كيدهم ومكرهم، وهم قوم أهل شرّ ومكر وكيد؟ أم أنّ هناك أسباباً أخرى دعت إلى ذلك؟!

هذا ما لا علم لنا به! وإنّما الذي يعلمه هو علّام الغيوب!»[١].

٥ ـ الطعن على عثمان:

* «كان أوّل ما صنع بعد أن استخلف واستقرّ له الأمر أن زاد في أعطية الناس الضعف، ثمّ أخذ يصل كبار الصحابة بالمنح فوق ما كان لهم من العطاء المفروض لهم زمن عمر، ومن ذلك أنّه وصل الزبير بن العوّام بستمائة ألف! وطلحة بمئتي ألف، ونزل له عن دين كان عليه، وقد فعل ذلك ابتغاء كسب القلوب واستمالتها»[٢].

---

(١) شيخ المضيرة: ٨٧.

قال لي يوماً أحد الأصدقاء قبل أن أتعرّف على أبي ريّة وعقائده: هذا يكفي في إنصاف الرجل.

(٢) نفس المصدر: ١٦٦.

* «ومن أخطر أعماله التي كان لها أثر بعيد وأليم علىٰ المسلمين جميعاً وسيبقىٰ هذا الأثر علىٰ وجه الدهر مسجّلاً، أن حابىٰ قومه بني أمية وآل أبي معيط وآثرهم بالولايات الكبيرة ـ عندما استعجلوه الولاية ـ وهي الشام ومصر والكوفة والبصرة، وذلك لأهمّية هذه الولايات وغناها ووفرة خيراتها وكثرة خراجها، وكانت في ذلك العصر مصدر قوّة الدولة المالية، ومن العجيب أنّه لم ينقض عام واحد علىٰ ولايته حتّىٰ أخذ يعزل الولاة الذين ولّاهم عمر، ليستبدل بهم ولاة من بني أمية»[١].

والشيء بالشيء يذكر فقد نقل عن الدكتور طٰه حسين قوله: «وليس من شكٍّ في أنّ عثمان هو الذي مهّد لمعاوية ما أتيح له من نقل الخلافة ذات يوم إلىٰ آل أبي سفيان وتثبيتها في بني أمية»[٢].

* «ومن أعمال عثمان التي استنكرها المسلمون أشدّ استنكار ولا يستطيع أحد أن يدفع عنه فيها، أنهّ ردّ الحكم بن العاص وأهله إلىٰ المدينة، وكان النبيّ قد أخرجهم منها للأسباب التي بيّنّاها آنفا وظلّ الحكم منفيّاً عن المدينة حياة أبي بكر وعمر، وكان عثمان قد سألهما أن يعيداه فأبيا، ولم يكتف بإعادته مع أهله بل أعطاه مالاً كثيراً قدّر بمئة ألف درهم»[٣].

* «ولا نستوفي كلّ أعمال عثمان التي أخذت عليه هنا لأنّ كتابنا هذا لا

---

(١) نفس المصدر: ١٦٧.

(٢) نفس المصدر: ١٦٨.

(٣) نفس المصدر: ١٦٩.

يحتملها فتطلب من مظانّها»[١].

* وقال أيضاً: «كتب هشام بن عبد الملك إلىٰ الأعمش ـ أستاذ الثوري ـ أن اكتب مناقب عثمان ومساوئ علي! فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكتها، وقال لرسوله: قل له: هذا جوابك»[٢].

٦ ـ الطعن علىٰ عائشة عدّة مرّات:

* «أنّها كانت غاضبة من بيعة الناس لعليٍّ ـ رضي الله عنه ـ حتّىٰ لقد قالت حينما بلغها أمر هذه البيعة كلمتها المشهورة وهي: (لا يمكن أن تتمّ هذه البيعة ولو انطبقت السماء علىٰ الأرض)»[٣].

* «كانت عائشة كما قلنا تسوّغ خروجها علىٰ عليٍّ بأنّها تطالب بثأر عثمان علىٰ حين أنّ القرآن يقول في سورة الأحزاب ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ**...﴾[٤] الآية، وانظر الفرق الهائل بينها وبين الحصان العاقلة الرزان أمّ سلمة التي كانت تقول كما روىٰ البخاري عنها (ص ٨٦ ج ٧): (لا يحرّكني

---

(١) نفس المصدر: ١٦٩.

وقال في الهامش: يرجع إلىٰ هذا الكتاب النفيس ـ الفتنة الكبرىٰ للدكتور طه حسين ـ الذي بيّن تاريخ هذه الفترة أصدق بيان وأصرحه لا يبتغي في ذلك غير الحقّ.

(٢) نفس المصدر: ١٦٦.

(٣) نفس المصدر: ١٧٠.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٣.

ظهر بعير حتّىٰ ألق النبيُّ)»[١] .

* «قال أمير المؤمنين حول إمساك زمام الفتنة بيدها علىٰ ما نقله ابن كثير الدمشقي ـ تلميذ ابن تيمية ـ في تاريخه : والله إنّ راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحلّ عقدة إلّا في معصية الله وسخطه» .

* «قال الفيلسوف الإنجليزي المشهور ولز الذي يعدّ في طليعة مفكّري هذا العصر في كتابه (**تجربة في التاريخ العام ـ في مبحث الإسلام**) عن موقف عائشة من الحرب الداخلية ، ما ترجمته :

(إنّ الإسلام كاد يفتح العالم أجمع لو بقىٰ سائراً سيرته الأولىٰ ، ولو لم تنشب في وسطه من أوّل الأمر الحرب الداخلية ، فقد كان همّ عائشة أن تقهر عليّاً قبل كلّ شيء)»[٢] .

ونال منها عدّة مرّات حتّىٰ وهو علىٰ سرير المستشفىٰ في آخر أيّامه ، كما ستقرأ إن شاء الله نبأ هذه القصّة[٣] .

٧ ـ الطعن علىٰ كبار الصحابة :

كعبد الله بن عمر ، ومحمّد بن مسلمة ، وعبد الله بن سلام ، وأبو

---

(١) شيخ المضيرة : ١٧١ .

(٢) شيخ المضيرة : ١٧٢ .

(٣) أنظر إلىٰ تقريظ الأستاذ علىٰ كتاب (عائشة) و(عبدالله بن سبأ) الذي ذكرناه آنفاً .

هريرة[١]، وعمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو، والمغيرة بن شعبة، وأبو موسىٰ الأشعري، ويعلىٰ بن أمية.

٨ ـ الطعن علىٰ معاوية وأمّه وأبيه وابنه:

* تكلّم الأستاذ كثيراً عن معاوية في مطويّات كتبه ووفّاه حسابه وقال في أحد منها وهو خير طعونه: «إذا نهض منصف ليبيّن شيئاً من صحيح تاريخه ـ أي معاوية ـ تصدّوا له بالشتم والسبّ ووصفوه بأنّه (شيعيّ) والتشيّع في رأي هذه الفئة الحمقاء نبزٌ لقومٍ ليسوا بمسلمين»[٢].

* «من العجيب أن يتورّط بعض المؤرّخين فيحكمون بصدق إيمان معاوية، ويستدلّون علىٰ ذلك بأنّه كان يؤدّي الفرائض، ويتبرّك بآثار النبي حتّىٰ بأظافره، ونسي هؤلاء أنّه هو وأبوه وأمّه قد أسلموا كرهاً وأنّ قلوبهم قد ظلّت علىٰ جاهليّتها، وفاتهم أنّه كان يخاصم رجلاً لا يمكن أن يساويه في العلم ولا في الفضل ولا في القدر، وإذن كان لابدّ له ـ وهو الداهية الخدعة ـ

---

(١) والذي نستطيع أن نقطع به ونحن مطمئنّون إليه بما تبيّن لنا من القرائن والأدلّة الصحيحة وما بدا من اعترافاته الصريحة أنّ أبا هريرة إنّما كان يبتغي من قدومه علىٰ النبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم أن يحقّق مطامعه الشخصية ومآربه الذاتية لا ليلتمس أن يتفقّه في الدين كما يفعل غيره من الذين أسلموا مخلصين، ولعلّك ترىٰ الفرق الهائل بينه وبين غيره من الذين كانوا يقدمون علىٰ النبيّ عن طواعية، مخلصة قلوبهم، راضية نفوسهم بالدين الحنيف.

(٢) نفس المصدر: ١٩٠.

لكي يستقيم أمره ويستقرّ ملكه أن يتذرّع بكلّ وسيلة يستطيعها، خفيّة كانت أو مفضوحة ليختدع بها العامّة ويحوّل أنظارهم إليه، ومن أوّل هذه الوسائل أن يتظاهر بموالاة النبيّ ويبالغ في محبته لعلّه يبلغ بذلك مكانة يزاحم بها عليّاً رضي الله عنه! ولكن أنّىٰ له ذلك وعليٌّ في السماك منه وإنّه كان أقرب الناس وأحبّهم إلىٰ قلب النبيّ حتّىٰ جعله منه كهارون من موسىٰ! ومن كان موالياً للنبيّ حقّاً فعليه أن يوالي عليّاً لأنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله قال: (من كنت مولاه فعليٌّ مولاه!) علىٰ أنّ الإيمان ومقرّه القلب ولا يعلمه إلّا الله ليس أمره سهلاً، وأنّ مظاهره ليست في أداء الفرائض ولا في التظاهر بحبّ النبيّ والتبرّك بآثاره وإنّما آيته أن يتّبع الرسول فيما جاء به أمراً ونهياً اتّباعاً ليس فيه ترخّص ولا انحراف، ومثل معاوية بما اقترف في حكمه من الموبقات لا يصحّ في عقل عاقل أن يعدّ من المؤمنين الصادقين»[١].

* «كان يزيد هذا صاحب لهو وعبث مسرفاً في اللذّات مستهتراً، وكانت أمّه ميسون نصرانية كنائلة زوج عثمان وكانت كثيراً ما تصطحبه إلىٰ البادية حول تدمر حيث تقيم قبيلتها وهناك شرب الخمر وانغمس في اللّذات وأخذ منها ما شاء له هواه وفسقه وقد كانوا يسمّونه يزيد القرود ويزيد الخمور»[٢].

---

(١) نفس المصدر: ١٦٦.

(٢) نفس المصدر: ١٧٧.

٩ ـ مدح أمير المؤمنين مدحاً قلّ أن يرىٰ مثله في علماء العامّة :

قال في ما روي عن أمير المؤمنين طعناً علىٰ مرويّات كثيرة لأبي هريرة :

* «أوّل من أسلم وتربّىٰ في حجر النبيّ ، وعاش تحت كنفه قبل البعثة ، واشتدّ ساعده في حضنه ، وظلّ معه إلىٰ أن انتقل إلىٰ الرفيق الأعلىٰ ، لم يفارقه لا في سفر ولا في حضر ، وهو ابن عمّه وزوج ابنته فاطمة الزهراء ، شهد المشاهد كلّها سوىٰ تبوك فقد استخلفه النبيّ فيها علىٰ المدينة فقال : (يا رسول الله أتخلفني في النساء والصبيان؟) فقال له رسول الله : (أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ؟ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي) . رواه الشيخان وابن سعد .

ولو كان عليٌّ (رضي الله عنه) قد حفظ كلّ يوم عن النبيّ ـ وهو الفطن اللبيب ، الذّكي الحافظ ، ربيب النبيّ ـ حديثاً واحداً وقد قضىٰ معه رشيداً أكثر

كَيْفَ يُرْتَجَىٰ مُرَاقَبَةُ مَنْ لَفَظَ فُوهُ أَكْبَادَ الأَزْكِيَاءِ ، وَنَبَتَ لَحْمُهُ بِدِمَاءِ الشُّهَدَاءِ ، وَكَيْفَ يَسْتَبْطِئُ فِي بُغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْنَا بِالشَّنَفِ وَالشَّنَآنِ وَالإِحَنِ وَالأَضْغَانِ ثُمَّ تَقُولُ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ وَلاَ مُسْتَعْظِمٍ :

وَأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لاَ تُشَل

مُنْتَحِياً عَلَى ثَنَايَا أَبِي عَبْدِ اللّٰهِ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَنْكُتُهَا بِمِخْصَرَتِك وَكَيْفَ لاَ تَقُولُ ذَلِك وَقَدْ نَكَأْتَ الْقَرْحَةَ وَاسْتَأْصَلْتَ الشَّأْفَةَ بِإِرَاقَتِك دِمَاءَ ذُرِّيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنُجُومِ الأَرْضِ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَتَهْتِفُ بِأَشْيَاخِك زَعَمْتَ أَنَّك تُنَادِيهِمْ ، فَلَتَرِدَنَّ وَشِيكاً مَوْرِدَهُمْ وَلَتَوَدَّنَّ أَنَّك شَلَلْتَ وَبَكَمْتَ وَلَمْ يَكُنْ قُلْتَ مَا قُلْتَ وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ . (من خطبة السيدة زينب بنت عليّ بن أبي طالب في الشام) .

من ثلث قرن لبلغ ما كان يجب أن يرويه أكثر من (١٢ ألف) حديث، هذا إذا روىٰ حديثاً واحداً في كلّ يوم، فما بالك لو كان قد روىٰ كلّ ما سمعه ـ وكان له الحقّ في روايته، ولا يستطيع أحدٌ أن يماري فيه ـ ولا تنسَ أنّه مع ذلك كلّه كان يقرأ ويكتب، وكان يحفظ القرآن، هذا الإمام الذي لا يكاد يضارعه أحد من الصحابة جميعاً في العلم والفضل ـ قد أسندوا له كما روىٰ السيوطي (٥٨٦) حديثاً[1] ...».

* وقال ذلك أيضاً في جمع القرآن:

«غريبة توجب الحيرة:

من أغرب الأمور، وممّا يدعو إلىٰ الحيرة أنّهم لم يذكروا اسم عليّ رضي الله عنه فيمن عهد إليهم بجمع القرآن وكتابته، لا في عهد أبي بكر ولا في عهد عثمان! ويذكرون غيره ممّن هم أقلّ منه درجة في العلم والفقه! فهل كان عليٌّ لا يحسن شيئاً من هذا الأمر؟ أو كان من غير الموثوق بهم؟ أو ممّن لا يصحّ استشارتهم أو إشراكهم في هذا الأمر؟

اللّهم إنّ العقل والمنطق ليقضيان بأن يكون عليٌّ أوّل من يعهد إليه بهذا الأمر، وأعظم من يشارك فيه، وذلك بما أتيح له من صفات ومزايا لم تهيّأ لغيره من بين الصحابة جميعاً، فقد ربّاه النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله علىٰ عينه،

---

(١) أضواء: ٢٢٥، شيخ المضيرة: ١٢٨.

قال الأستاذ في الهامش: «هذا ما في البخاري ومسلم ولا نعلم شيئاً عن مقدار أحاديثه التي روتها الشيعة عنه (ولكلّ قوم سنّة وإمامها)» ـ مصراع بيت من لبيد ـ.

وعاش زمناً طويلاً تحت كنفه، وشهد الوحي من أوّل نزوله إلىٰ يوم انقطاعه، بحيث لم يند عنه آية من آياته!!

فإذا لم يدع إلىٰ هذا الأمر الخطير فإلىٰ أيّ شيء يدعىٰ؟! وإذا كانوا قد انتحلوا معاذير ليسوّغوا بها تخطّيهم إيّاه في أمر خلافة أبي بكر فلم يسألوه عنها ولم يستشيروه فيها، فبأيّ شيءٍ يعتذرون من عدم دعوته لأمر كتابة القرآن؟ فبماذا نعلّل ذلك؟ وبماذا يحكم القاضي العادل فيه؟ حقّاً إنّ الأمر لعجيب وما علينا إلّا أن نقول كلمة لا نملك غيرها وهي:

لك الله يا عليُّ! ما أنصفوك في شيءٍ[1]!».

* وقال أيضاً بعد أن تكلّم حول حرب عائشة عليه وعفوه عنها في حرب الجمل:

«لك الله يا علي! تألّبت كلُّ القوىٰ عليك، وكم نلت من البعيد

---

(١) نفس المصدر: ١٦٨.

سمعت باسم أبي ريّة لأوّل مرّة في كتب بعض الأساتذة وقرأت جزءاً ممّا اقتطفه في كتابه ثمّ مضت سنتان وشدوتُ من العلم ما شدوتُ وإذا صديقٌ يعرّفني علىٰ كتاب (أضواء علىٰ السنّة المحمّدية)، وكنت يومئذ في بكرة الشباب، استهواني عنوان الكتاب فتناولته أقلّب صفحاته لا أكاد أفهم جُمَلهُ حتّىٰ انتهيت إلىٰ جملته (لك الله يا عليّ) فإذا هي جملة عذبة تخالط النفس وتنفذ برفق إلىٰ القلب حتّىٰ أدّت إلىٰ ذرف دموعي، وإذا بي أعيدها مرّة تلو الأخرىٰ حتّىٰ أصبحت أفتح الكتاب لكي أقرأها، وقد حببت إليّ هذه الجملة أن أعود إلىٰ الكتاب فأقرأه في رويّة وتمهّل لعلّني أفهمه، وأحببت أبا ريّة من يومها، فرحتُ أتتبّع آثاره في الصحف والكتب، لا يفوتني منها شيء، وكنت أبذل قصارىٰ جهدي في فهم كلمات أبي ريّة، لأنّي لم أعهد بمثلها قبل ذلك.

والقريب، وكم حملت ممّا تأبىٰ الجبال أن تحمله»[١].

١٠ ـ وقال في الشيعة:

«وهؤلاء الطوائف جميعاً لا يمكن لأحد أن يطعن في دينهم، أو يستريب في إيمانهم؛ لأنّهم مستمسكون بأصول الإسلام ويؤمنون بمحمّد(ص) والكتاب الذي جاء به (ولكلّ قوم سنّة وإمامها)[٢]».

* «الشيعة الإمامية هم جمهور أهل العراق وإيران وملايين المسلمين في الهند ومئات الألوف في سوريا والأفغان».

* نختم هذه المقدّمة بكلمة نحبّ أن نذكرها حفظاً لحقّ العلم ووفاءً للتاريخ حيث لم يذكرها أحد في كتاب ولا مقالة، وهو كلام للعلّامة السيّد محمّد حسين الحسيني الطهراني بعد أن أورد عبارات من كتاب **شيخ المضيرة**:

قال رضوان الله عليه: «وقد أدرك الشيخ أبو ريّة السنّيّ ـ بما كان عليه من فكرٍ وقّاد وتقويمٍ منصف، وما امتاز به من دراساتٍ عميقة ـ أنّ في فقه العامّة خللاً وفي صحاحهم بخاصّة **صحيح البخاريّ** روايات باطلة كثيرة تخالف العقل والتاريخ. ولذا ألّف كتابيه الثمينين: **الأضواء**...، **وشيخ**

---

(١) نفس المصدر: ١٧١.

(٢) نفس المصدر: ٢٧١.

ومن طريف القول أنّ الأستاذ يذكر هذا المثل لئلّا يظنّ الناس أنّه يضمر التشيّع.

المضيرة للردّ على فقه العامّة المتوكّئ على أحاديث رواها رجال كذّابون متّهمون كأبي هريرة. وكان سماحة العلّامة السيّد مرتضى العسكريّ يقول (لي): أرسلتُ كتابين من كتبي وهما: **عبد الله بن سبأ** والجزء الأوّل من كتاب **أحاديث أمّ المؤمنين عائشة** إلى الشيخ أبو ريّة في مصر فاستحسنهما كثيراً، وعندما ذهبت إلى مصر عدته في المستشفى إذ كان راقداً[١] فيها لمرضٍ ألمّ به وأدّى إلى وفاته، وقد سررنا أنا وإيّاه باللقاء كثيراً، وكان يرى أنّ عائشة إمرأةٌ فظّةٌ محرّفةٌ للتاريخ وعدوّةٌ لأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام، وكان يبغضها كثيراً، ولعنها عدّة مرّات وهو على سريره، كما كان يتبرّأ من عثمان، وسألته عن رأيه بالشيخين، فقال: إنّه توصّل إلى موضوعاتٍ كثيرة بشأنهما، وكان يذمّهما[٢] لكنّه لم يبلغ مرحلة لعنهما والبراءة منهما حتّى وافاه الأجل... اللهُمَّ احْشُرْهُ مَعَ مَنْ يَتَوَلّاهُ وَيُحِبُّهُ وَأَبْعِدْهُ مِمَّنْ يَتَبَرَّأُ مِنْهُ وَيُبْغِضُهُ!»[٣].

أراني قد أطلت وما استوفيت، وما قصدته من دراستي هذه لشخصيّة أبي ريّة وجهوده إنّما هو نظرة سريعة ببعض جوانب حياته وآرائه على مقدار ما تهيّأ في الذاكرة وما عثرت عليه من خلال تتبّعي.

---

(١) كتب رحمه الله خطابه إلى مؤتمر الشيخ الطوسي في مرضه هذا.

(٢) ومنها ما ذكرت آنفا في الطعن على أبي بكر حول غصب نحلة الزهراء عليها السلام.

(٣) معرفة الإمام ١٧: ٢٤٢.

خُتمت هذه الرسالة بحمد الله ومنّه في شهر محرّم الحرام
شهر مولانا وإمامنا محيي مذهب الإماميّة سيّد الشهداء أبي
عبد الله الحسين عليه السلام
في سنة ألف وأربعمأة وستّ وثلاثين بعد الهجرة النبويّة ،
على هاجرها ألف الصلاة والسلام وعلىٰ آله
وأنا الراجي عفو ربّه أحمد رضا مرادي ببلدة شيراز .

المصادر

١ ـ **أحاديث أمّ المؤمنين عائشة** : مرتضىٰ العسكري ، التوحيد للنشر ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٤هـ .

٢ ـ **أضواء علىٰ السنّة المحمديّة** : محمود أبو ريّة ، دار المعارف ، الطبعة السادسة ، بدون تاريخ .

٣ ـ **بحار الأنوار** : محمّد باقر المجلسي ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٣هـ .

٤ ـ **تاج العروس** : مرتضىٰ الزبيدي الحنفي ، دار الفكر ، تحقيق : علي شيري ، ١٤١٤هـ .

٥ ـ **تاريخ الأدب العربي** : العصر الإسلامي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، ٢٠٠٢م .

٦ ـ **جامع بين العلم وفضله** : ابن عبد البرّ الأندلسي ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨هـ .

٧ ـ **حياة الرافعي** : محمّد سعيد العريان ، المكتبة التجارية الكبرىٰ ، الطبعة الثالثة .

٨ ـ **دين الله واحد** : محمود أبو ريّة ، دار النشر للطبع والنشر والتوزيع ، بدون تاريخ .

٩ ـ **رسائل الرافعي** : محمود أبو ريّة ، الدار العمريّة ، بدون تاريخ .

١٠ ـ **السنّة ومكانتها في التشريع** : مصطفىٰ السباعي ، مكتبة دار العروبة ، ١٣٨٠ .

١١ ـ **شيخ المضيرة** : محمود أبو ريّة دار المعارف ، الطبعة الثالثة .

١٢ ـ **الغدير** : عبد الحسين الأميني ، دار الكتاب العربي ، ١٣٩٧هـ .

١٣ ـ **فتح الباري** : ابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية .

١٤ ـ **كتاب العين** : خليل الفراهيدي ، دار الهجرة ، قم ، ١٤٠٩هـ .

١٥ ـ **لسان العرب** : ابن منظور ، دار صادر ، ١٤١٤هـ .

١٦ ـ **مجلّة الأزهر** : لأحمد حسن الزيّات .

١٧ ـ **مجلّة الرسالة** : لأحمد حسن الزيّات .

١٨ ـ **مجلّة المنار** : لمحمّد رشيد رضا .

١٩ ـ **مجمع البحرين** : فخر الدين الطريحي ، مرتضوي ، ١٤١٥هـ .

٢٠ ـ **مستدرك الوسائل** : الميرزا حسين النوري ، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ١٤٠٨هـ .

٢١ ـ **مع رجال الفكر** : السيّد مرتضىٰ الرضوي ، مؤسّسة الإرشاد بيروت ، ١٩٩٨م .

٢٢ ـ **معرفة الإمام** : السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني ، دار المحجّة البيضاء ، بيروت .

٢٣ ـ **موسوعة السيّد شرف الدين** : مجلّد الوثائق والرسائل . تحقيق : مركز العلوم والثقافة الإسلامية .

٢٤ ـ **النصّ والاجتهاد** : السيّد عبد الحسين شرف الدين ، ١٤٠٤هـ .

٢٥ ـ **ولاية الفقيه** : السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني ، دار المحجّة البيضاء ، بيروت .